ميثاق الرابطة

لسان رابطة علماء المغرب

أسبوعية جامعة تصدر كل جمعة - الثمن : 3 دراهم

السنة 35 - العدد 1002 - الجمعة 1 شوال 1423 هـ - الموافق 6 دجنبر 2002

ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن

لا إله إلا الله محمد رسول الله

تهاني رابطة علماء المغرب بمناسبة عيد الفطر السعيد

بمناسبة حلول عيد الفطر السعيد، يسعد رابطة علماء المغرب وأسرة جريدتها "ميثاق الرابطة" ومجلتها "الأحياء"، أن ترفع أخلص التهاني وصادق الاماني إلى حضرة أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس حفظه الله، داعية لجلالته بدوام النصر والتأييد، وأن يصلح به وعلى يديه، ويرزقه البطانة الصالحة التي تدله على الخير وتعينه عليه حتى يحقق لأمته -التي تبادله المحبة والوفاء- كل ماتطمح إليه من تقدم وازدهار، تحت راية القرآن الكريم، والسنة المحمدية الشريفة، وما أجمع عليه السلف الصالح، ضارعة إلى الله تعالى أن يحفظه في شقيقه السعيد المولى الرشيد وسائر أفراد أسرته الشريفة.

كما تقدم تهانئها إلى الشعب المغربي والشعوب الاسلامية كافة، طالبة من الله أن يوحد صفوفها، ويعلي قدرها، ويعزها بنصره المبين، ويكرمها بتحرير أولى القبلتين وثالث الحرمين، من رجس الصهاينة المعتدين إنه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير.

مواصفات القلب السليم

إسناد الكائنات هل هي للذات أم للصفات

شهر الصيام منحة ربانية للأمة الإسلامية

المغزى الإنساني والاجتماعي لعيد الفطر

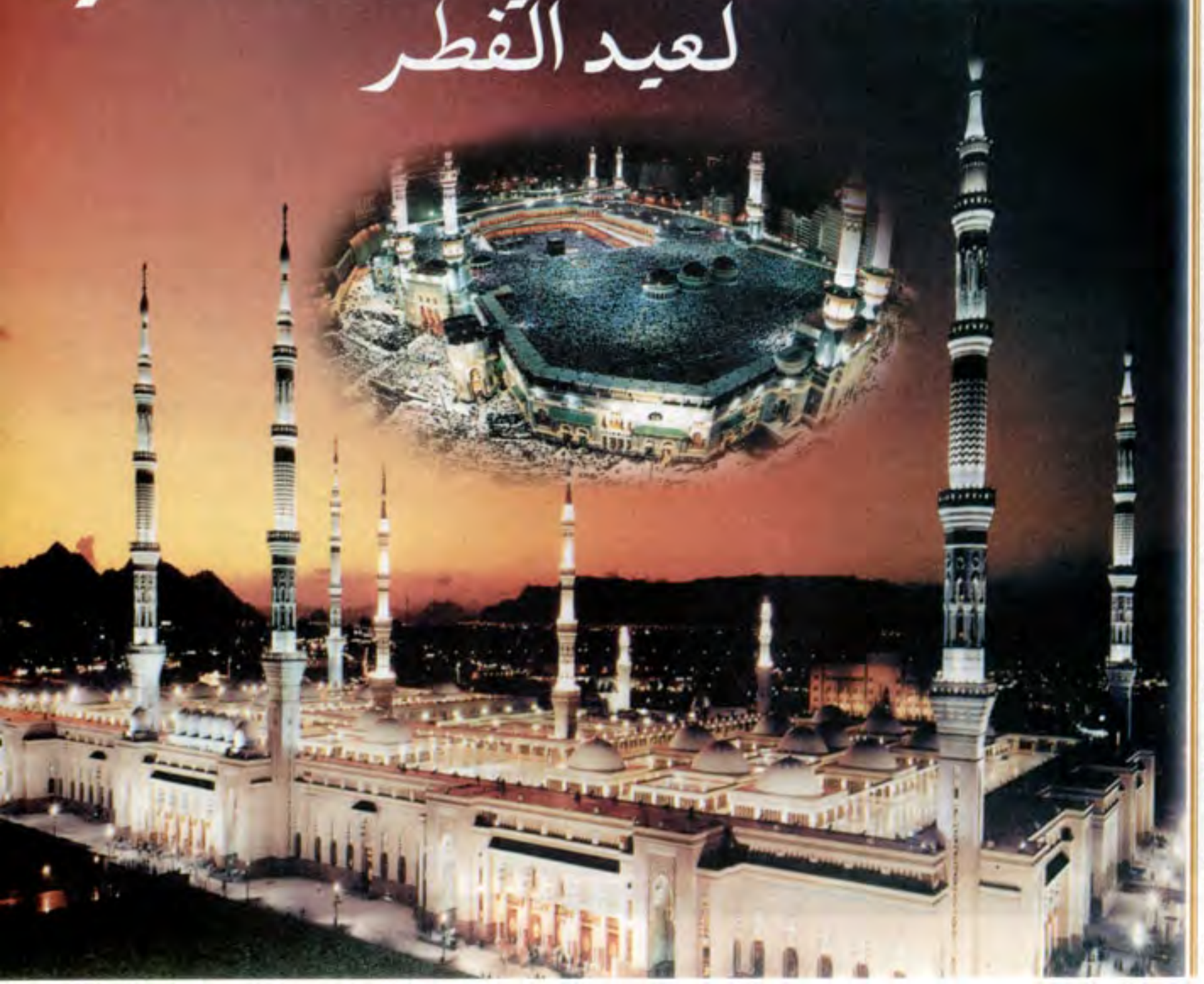

ذكرى غزوة بدر

حلت بالعالم الإسلامي ذكرى غزوة بدر الكبرى تلك الملحمة التاريخية التي استنشق منها المسلمون في بداية الدعوة الإسلامية إلى الله عبير انتصار الإيمان على الكفر والحق على الباطل والعدل على الظلم.

غزوة بدر الكبرى التي قادها هادي الإنسانية ونبي الرحمة وناشر العدل والإيمان الصحيح سيدنا ومولانا محمد – صلى الله عليه وسلم – فبصدق الرسالة، وقوة إيمان الصحابة، ويقين المؤمنين الصادقين مع الله وعبيده، كان النصر حليف قلة منظورة عند المتغطرسين الكافرين بعين الذل والهوان والاستهزاء.

(ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة) نصر الله هذا الجيش الإسلامي القليل في عدده الكثير بإيمانه المعتمد على الله المستعين به وبقوته، المبتهل إليه بتحقيق النصر. (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم) سورة الأنفال/ الآية: ١٠. جيش المسلمين لا يتعدى عدده ثلاثمائة وأربعة عشر رجلا فيما رواه ابن اسحاق، وجيش الكفار يقارب ألف مقاتل ومجهز بما يحتاجه من وسائل تضمن له النصر في نظر قادة قريش وزعمائها المتزعمين لهذا الجيش العرمرم، والمعروفين بشجاعتهم وتعصبهم واستهزائهم بنبي الإسلام والمسلمين، لكن تبين لهم بعد الهزيمة الشنعاء التي منوا بها أن حساباتهم مغلوطة وأن مخططهم فاشل وأن شجاعتهم المغترين بها كانت أمام إيمان الصحابة وقوة بأسهم لا يتساوى شيئا فقذف الله في قلوب صناديد قريش وأبطالها الرعب ، ولم يقدروا على مواجهة أسود غزوة بدر الكبرى الذين حقق الله لهم النصر على أعداء الإسلام استجابة لدعائه – صلى الله عليه وسلم – فكان الصحابة يرونه عليه الصلاة والسلام يقف طوال ليلة الجمعة في العريش الذي أقيم له ببدر يجأر إلى الله تعالى داعيا ومتضرعا باسطا كفيه إلى السماء يناشد الله عز وجل أن يؤتيه نصره مساء ليلة الجمعة لسبع عشرة مضت من شهر رمضان ويقول في دعائه صلى الله عليه وسلم: (اللهم فنصرك الذي وعدتني اللهم أحنهم الغداة) وظل يتضرع إلى ربه ويبسط كفيه إلى السماء حتى التزمه أبو بكر من ورائه وقال له يا رسول الله: أبشر فوالذي نفسي بيده لينجزن الله لك ما وعدك.

وعندما بدأ القتال في صبيحة يوم الجمعة لسنتين خلتا من الهجرة بين المشركين والمسلمين أخذ النبي (ص) حفنة من الحصباء فاستقبل بها قريشا، وقال شاهت الوجوه ثم نفحهم بها ولم يبق فيهم رجل إلا امتلأت عيناه منها وأيد الله المسلمين بالملائكة يقاتلون إلى جانبهم فكان النصر المبين للمسلمين على الكافرين فضلا منه ومنة .

إن من تتبع المراحل التي مرت بهذه الغزوة المباركة يجد أن عليه الصلاة والسلام اعتمد فيها على الرأي والمشورة من أهل المعرفة والتجربة من صحابته بالرغم من كونه عليه الصلاة والسلام له كامل اليقين على أن الله سينصر دينه الصحيح على الظلمة والكفار الجاحدين كما أخبر بذلك معشر المسلمين وحقق له الله.

فكان عليه الصلاة والسلام يقول هذا مصرع فلان، ومصرع فلان (أي من المشركين) وهو يضع يده على الأرض هاهنا وهاهنا... فما تزحزح أحدهم في مقتله عن موضع يده رواه. مسلم :٦١٩٠.

لكن بين لأصحابه أنه في هذه المواقف لابد من الرأي والمكيدة والدراسة وحسن التدبير والتهيئ ... لما يتطلبه الموقف. فكان عليه الصلاة والسلام يلتزم التشاور مع أصحابه في كل أمر لا نص فيه من كلام الله تبارك وتعالى أو سنة رسوله (ص) قال تعالى: (وشاورهم في الأمر).

قال القرطبي: (المستشير ينظر في اختلاف الآراء، وينظر أقربها إلى الكتاب والسنة إن أمكنه).

والعبر التي تستشف مما جرى في غزوة بدر الكبرى من بدايتها إلى نهايتها بنصر المسلمين كثيرة ويحتاج تحليل جزئياتها لوقت أكثر، وبالجملة.

فلقد غيرت هذه المعركة المباركة وجه التاريخ الدعوي الإسلامي وأعطت انطلاقة قوية لانتصار الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها.

ومن وقعة بدر المباركة صار العدو يحسب للإسلام والمسلمين أضخم حساب، وانتشرت مسيرة الإسلام الإنسانية الإصلاحية من عهد هذه المعركة بدون توقف (ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون).

وسر الانتصار هو قوة الإيمان، وحسن القصد والثبات على المبدأ الرباني الإنساني الرحماني الأخلاقي النبيل الذي يدعو إلى سبيل الحق والعدل، والإنصاف بالحكمة.

فعلينا معشر المسلمين أن لا تنزلق بنا الأهواء وأن نعي تاريخنا على حقيقته الجذابة وننتبه بوعي مدرك وإيمان صادق لما يحاك ضد أمتنا الإسلامية المسالمة...

معنى علم القراءات

■ إعداد الدكتور:محمد حمان

|| الحلقة الرابعة ||

وفن معرفة الوقف والابتداء،وإن كان داخلا في علم القراءات، إلا أنه كثرت حوله الدراسات والأبحاث حتى كاد يصبح علما قائما بذاته حيث ألفت فيه المؤلفات الكثيرة.

وعن الوقف والابتداء يقول الزركشي في البرهان: "وهو فن جليل، وبه يعرف كيفية أداء القرآن، ويترتب على ذلك فوائد كثيرة واستنباطات غزيرة، وبه تتبين معاني الآيات، ويؤمن الاحتراز عن الوقوع في المشكلات".

وينقل السيوطي في الإتقان آثارا عن الصحابة وغيرهم في موضوع الوقف والابتداء، ومن تلك الآثار قوله : "قال ابن الأنباري:"من تمام معرفة القرآن معرفة الوقف والابتداء فيه".

وجاء ابن الجزري بعدة تنبيهات لبيان الوقف والابتداء، وشرح مايذكره العلماء المختصون عنهما، حيث قال في التنبيه الرابع: "قول أئمة الوقف لا يوقف على كذا معناه أن لايبتدأ بما بعده، إذ كلما أجازوا الوقف عليه أجازوا الابتداء بما بعده"

والقراء حينما يتحدثون في موضوع الوقف والابتداء، يردفونه بالحديث عن الموصول والمفصول، وقصدهم بذلك مراعاة المعنى، فالألفاظ التي يجمع بينها معنى واحد لاينبغي أن يفصل بينها بالوقف، كما أنه لايستساغ أن يوصل بين جملتين كل منهما تستقل بمعنى خاص، بل إن الأمر في مثل هذه الحالة يتطلب الوقوف عند تمام المعنى مع نهاية الجملة الأولى، ثم يقع البدء بأول الجملة الثانية، وهكذا في سائر الجمل المستقلة بمعانيها.

وربما اختلفت هنا مذاهب القراء، إذ ما يراعيه هذا قد لايراعيه ذاك، ولهذا نجد ابن الجزري ينبه إلى هذا، ويوصي بتعلم أصول المذاهب في القراءات فيقول: "لابد من معرفة أصول مذاهب الأئمة القراء في الوقف والابتداء ليعتمد في قراءة كل مذهبه".

ومن الفصل والوصل ساله ارتباط وتعلق بمرسوم الخط،حيث نجد بعض الباحثين في القراءات يدرسون موضوع الفصل والوصل، ويقصدون بذلك فصل أو وصل بعض حروف المعاني أو الكلمات بما، أو من ، أو لا، أو لن، أو الضمير، أو إسم الإشارة أو إسم الموصول، وهذه الدراسة وإن كان لها تعلق بالمعنى إلا أن انعكاسها على استنباط الأحكام ليس في مستوى ماقدمناه عما له علاقة بالوقف من الاتصال أو الانفصال بين الجمل بسبب وجود أو انعدام الترابط المعنوي فيما بينها.

ومما ينبغي للفقيه أن يكون على علم به، حتى يفيده في استخلاص الأحكام من كتاب الله، ماكتبه القراء الباحثون عن وجوه القراءات من حيث الرواية والاحتجاج والتعليل، إذ باطلاعه على توجيه القراءات وتعليلها يعرف كيف يوجه أحكامه ويعللها، ويفيده ذلك في ميدان الترجيحات.

فعند مراعاة الفقيه للتوجيهات والتعليلات لدى القراء يتبين له الوجه الأمثل بالنسبة للوجوه الأخرى فيختاره ويرجحه على غيره ويجعل منه قاعدة يرتكز عليها في اختياره وترجيحه للحكم الذي يراه أولى من غيره في قضية من القضايا التي تعرض عليه.

وعلى أي حال فإن الحديث عن القراءات حديث لايمل، ولاتشبع منه النفس، لأن علم القراءات يمثل جوهر علوم القرآن، والبحث فيه يتشعب ليشمل جل العلوم القرآنية التي لايستغني عنها الباحث في مجالات الفقه الإسلامي، فبمقدار ماتكثر معارف الفقيه المتصلة بكتاب الله عن طريق اطلاعه على أكبر قدر من أنواع علوم القرآن تتوسع أمامه الدائرة المعرفية التي تمكنه من استخلاص واستخراج الأحكام الفقهية من نصوص الكتاب العزيز بسهولة ويسر.

الوصايا العشر في الاسلام

الوصية العاشرة

اتباع صراط الله المستقيم

■ الأستاذ أحمد تشيكرت

« وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله»

في هذه الوصية الأخيرة من الوصايا العشر السابق ذكرها يأمرنا الله سبحانه وتعالى باتباع صراطه المستقيم الذي يوصلنا إلى الجنة دار النعيم المقيم، وينهانا عن اتباع سبل الشيطان فعن ابن مسعود (ض) قال: خط رسول الله ، صلى الله عليه وسلم، خطا بيده ثم قال: هذا سبيل الله مستقيما وخط عن يمينه وشماله ثم قال : هذه السبل ليس فيها سبيل إلا عليها شيطان يدعو إليه ثم قرأ: «وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل »الآية فسبيل الله واحد، لأن الحق واحد، وسبل الشيطان متعددة ومتشعبة، لأن الباطل له طرق ملتوية، وكلها تؤدي إلى النار، وطريق الجنة هو طريق الكتاب والسنة، فمن تمسك بهما بلغ الهدى ، ومن أعرض عنهما ضل سواء السبيل ، ونال العذاب الأليم لأنه خرج عن الصراط المستقيم، فعن العرباض بن سارية أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال : ضرب الله مثلا صراطا مستقيما، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داع يقول، ياأيها الناس ادخلوا الصراط جميعا ولا تعوجوا ، وداع يدعو في جوف الصراط ، فإذا أراد أحد أن يفتح شيئا من تلك الأبواب قال ويحك لا تفتحه فإنك إن فتحته تلجه، والصراط الإسلام والسوران حدود الله عز وجل والأبواب المفتحة محارم الله وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله ، والداعي في جوف الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم، ففي هذا المثال الذي ضربه النبي ، صلى الله عليه وسلم، أن الإسلام هو الصراط المستقيم، الذي امر الله بالاستقامة عليه ، ونهى عن مجاوزة حدوده ، وأن من ارتكب شيئا من المحرمات ، فقد تعدى حدوده، من اجل ذلك يجب علينا أن نثبت على طريق الله الذي هو الإسلام وهو طريق النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين وان زاغ الناس جميعا عن الطريق.

حياتي في الإذاعة والتلفزيون

■ إعداد الاستاذ:أبو بكر

صدر عن منشورات جمعية تطوان أسمير كتاب للأستاذ محمد الخضر الريسوني يستعرض فيه ذكرياته في العمل بالإذاعة والتلفزة المغربية سواء عندما كان بتطوان أو لما التحق بالرباط، مقدما من طرف الدكتور المهدي المنجرة الذي يصفه بإلهام ويعتبره الثاني في بابه، داعيا إلى المزيد من أمثال هذه المذكرات لأنها تبين جهود العاملين وتوضح الفرق بين الحاضر والذي كان.

وبالرغم من أن المؤلف يصف عمله بأنه أشبه مايكون بالخواطر المجنحة التي تسبق الأفكار ص: 1 إلا أن مادته التوثيقية هامة للباحث والمؤرخ حيث يطلع فيه على وقائع وشواهد عز نظيرها. عبر استعراض ذكريات من سنة 1952 إلى أن تقاعد في السنين الأخيرة. مبرزا التحولات التي عرفها المجال على مستوى العلاقات وآليات العمل وطرائق الدفاع عن حقوق العاملين ومآلت إليه أوضاعهم(ص85).

وقد غطت المذكرات أكثر من نصف قرن ،حيث تطرق الكاتب إلى الكيفية التي انضم بها إلى إذاعة تطوان، ثم إذاعة الرباط، حيث كانت أول عمل قام به في الرباط هو العمل كمذيع، ثم قسم البرامج الذي عمل فيه على انشاء ماعرف باسم المجلة الشعبية "لازم تعرف" والذي أضاف لفظة "لازم تعرف" كما يقول المؤلف هو ادريس الجائي

ويعني بها "أن يكون لزاما على المستمع معرفة وطنه والالمام بتاريخه وحضارته وتراثه وفنونه ومآثره، وتقاليده مادامت معلومات المستمعين قليلة في هذا المجال" وذلك سنة 1958.

لقد تعرض المؤلف إلى ماعرفته فترة الستينيات من مفاجآت كما يقول وخاصة مايتعلق بالمنشورات الخاصة بإبدال الأجر الشهري بعقدة الانتاج، وكان الهدف من ورائها الاستغناء عن بعض العاملين، ولم ينقذهم إلا نقل الخبر إلى جلالة الملك المرحوم الحسن الثاني من قبل أحمد البيضاوي فأمر جلالته بإلغاء تلك القرارات الادارية في الحال (ص47).

كما أشار المؤلف إلى ماقام به مدير الإذاعة في وقته، الدكتور المنجرة من توقيف الجوق السامفوني الفرنسي وفسخ عقود أعضائه وابدالهم بموسقيين مغاربة برئاسة أحمد البيضاوي، وكان ذلك الجوق المنحل يتكون من 50 فردا يتقاضون رواتب لاتخطر على بال وذلك سنة 1959 (ص80).

ثم يعرج المؤلف على مكتب المؤلفين شارحا الوضع الإداري للعاملين بالإذاعة والتلفزة، مما يجعل الكتاب كما سلفنا ذاكرة في بابه وهو ماجعل مقدمه يقول : بأن هذا الكتاب ذاكرة، مبينا أنه لايمكن أن نعيش أو نخطط أي شيء مستقبلا إذا لم تعرف أين أنت، ولكي تعرف أين أنت يجب أن تعرف من أين أتيت"ص:4.

وهذا ماجاء الكتاب ليقوله بأسلوب سلس وتواريخ وأسماء مضبوطة وواضحة.

الوثاق

تفسير قوله تعالى: "وآية لهم الليل نسلخ منه النهار" للعلامة النحرير سيدي حمدون بن الحاج

قال شيخنا النحرير ذو الفهم والتحرير سيدي حمدون بن عبد الرحمن بن الحاج.

أحمد الله مكور الليل على النهار، ومسخر الشموس والأقمار، وأصلي على نبيه وعبده محمد المختار، الذي سلخ ظلمة الشبهة عن ضوء الأسرار، وعلى آله السادات الأطهار، وصحابته الأخيار.

الأستاذ : إدريس كرم

أما بعد:

فإنه اختلفت الأقاويل بين ذوي الأراء والأنظارفي تفسير قوله تعالى، وآية لهم الليل نسلخ منه النهار، فاقتطفت من تلك الأقاويل ما انفتح من لطيف الأزهار، واجتنيت منها ما طاب وراق من الثمار، وأضفت إلى ما تلقته الأفكار من جنات مفيض الأسرار والأنوار، فرقمته لذلك بكشف الأستار عن آية لهم الليل نسلخ منه النهار، قوله جل ثناءه وتقدست صفاته وأسماءه، وآية لهم الليل، جملة من مبتدا وخبر آية خبر مقدم للاهتمام به، وتذكيرها للتفخيم، ولهم إما متعلقة بها لأنها بمعنى علامة، او بمضمر، هو صفة لها الليل مبتدأ، اي الليل علامة عظيمة، ودلالة فخيمة على قدرتنا القاهرة، وعلمنا الشامل وحكمتنا الباهرة قوله عز سلطانه، وجل شأنه، نسلخ منه النهار، جملة مبينة لكيفية كونه آية، والسلخ في اللغة إزالة ما بين الحيوان وجلده من الإتصال والأغلب في الاستعمال تعليقه بالجلد، يقال: سلخت الإيهاب من الشاة، وقد يعكس، ومنه الشاة المسلوخة، والليل زمان كون العالم مظلما، والنهار زمان كونه مضيئا، ولا يسلخ أحد الزمانين عن الأخر، بل الضوء عن وجه الظلمة، أو الظلمة عن وجه الضوء، فتعلق السلخ بهما تجوز حقيقته نسلخ من ظلمة الليل ضوء النهار.

ذهب الجمهور وجار الله في كشافه، إلى أنه استعير كشط الجلد عن نحو الشاة، لكشف النهار عن ظلمة الليل، وهما حسيان، والجامع ما يعقل ولا يحشر به من ترتب أمر على آخر كترتب ظهور اللحم امر على كشط الجلد، وترتب ظهور الظلمة على كشف الضوء استعارة أصلية، ثم اشتق الفعل تبعا، فالسلخ بمعنى النزع.

قال الكلبي: نسلخ منه النهار، أي نذهب به، قال الفراء: الأصل هي الظلمة، والنهار داخل عليها، إذا غربت الشمس سلخ النهار من الليل، اي كشط وأزيل، فيظهر الظلمة، قال محيي السنة: معناه يذهب بالنهار ويجيء بالليل، وذلك أن الأصل هي الظلمة، والنهار داخل عليها، ويؤيده ما روى الإمام أحمد بن حنبل والترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله (ص) يقول خلق الله الخلق في ظلمة، ثم القى عليهم من نوره، فمن أصابه نور اهتدى، ومن أخطأه ضل.

قال المرزوقي في الآية دلالة على أن الليل قبل النهار، لأن المسلوخ منه يكون قبل المسلوخ، كما أن المغطى قبل الغطاء، وفي الحكم انا مثل الخصوصية كإشراق شمس النهار ظهرت في الأفق، وليست منه فجعل ظهور الظلمة بعد ضوء شمس النهار، كظهور المسلوخ بعد سلخ إهابه عنه.

فاستعمال الفاء في قوله تعالى: (فإذا هم مظلمون) على هذا ظاهر لكن يشكل عليه إذا الفجائية، قال الشارح العلامة: لا يخفى أنه يستقيم أن يقال نزع ضوء الشمس عن الهواء ففاجأه الظلام كما لا يستقيم أن يقال كسرت الكوز، ففاجأه الانكسار، لأن دخولهم في الظلام عين حصول الظلام فيكون نسبة دخولهم في الظلام إلى نزع ضوء الشمس كنسبة الانكسار إلى الكسر، والمفاجأة إنما تتصور فيما لا يكون مترقبا بالحصول بغتة، قال الشيخ عبد الحكيم الساكوتي: وتمكن الجواب بأن نزع الضوء من ظلمة الليل، لكون ظهوره في غلبة الكمال المرتقب فيه ،أن يكون في مدة مديدة محصولا لظلام بعده في مدة قصيرة، حصول أمر غير مترتب هـ.

فعلى هذا تكون الآية مقتصرة على الشق الأول من قوله تعالى: (يولج الليل في النهار) الآية.

ومن قوله تعالى: (يكور الليل على النهار) الآية، والشق الثاني من قوله تعالى: (قل أرايتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا) الآية.

كما في قوله تعالى: (يغشي الليل النهار) في الأعراف وفي الرعد، فإن قلت زيد قوله تعالى: (فإذا هم مظلمون) قلت للإشارة إلى طلب الليل للنهار، الطلب الحثيث، كما في قوله تعالى: (يطلبه حثيثا يغشي الليل النهار) من الأعراف فهي بمعناها، فإن قلت ولم خولف بين الجملتين؟ قلت للدلالة على الإستمرار والتجرد، أو استحضار تلك الصورة الباهرة الدالة على القدرة القاهرة في الأولى، والدالة على ما قلنا من شدة الطلب، حتى كأن الظلام دائم عليهم، وبما أن ذلك هو الأصل والضوء عارض في الثانية، فإن قلت أليس كل واحد منهما طالبا للأخر على التعاقب، (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار) قلت نعم لكن لما كان طلب الليل للنهار لا يغفل عنه أحد، لكون الناس أيقاظا، خص بذلك، وذهب الشيخ عبد القاهر الجرجاني والسكاكي وجار الله في الأساس على ما سيأتي، إلى أنه أستعير كشط الجلد عن نحو الشاة لظهور النهار من ظلمة الليل وهما حسيان، والجامع ما يعقل من ترتب أمر على آخر، كترتيب ظهور اللحم على كشط الجلد، وترتب ظهور الضوء على كشف الظلمة، استعارة أصلية، وبيان ذلك أن التحقيق وإن كان يقتضي أن طريان الضوء على الظلام بمنزلة اللباس الساتر لكن المتعارف المتبادر إلى الفهم عكس، ذلك حتى، كأن الظلام هو الذي يطرأ على الضوء فيستره بمنزلة اللباس، وينكشف عنه فيظهر، ولذلك كثر تشبيه الليل باللباس، قال تعالى: (هو الذي جعل لكم الليل لباسا)، وجعلنا اشتهار الليل لباسا كاللباس يستركم بظلامه كما يستر اللباس.

وقال ابن العريف:

زار وجيب الظلام منسدل
فانشق ثوب الدجى عن الفجر

وقال ابن السيد:

وفي طوقه بدر الدُّجُنّة طالع
تجلله قطع من الليل فاحم

وقال آخر:

ألا علّلاني قبل أن تنصرفا
وهات اسقني صرفا شرابا مروّقا
فقد كاد ضوء الصبح أن يفضح الدجى
وكاد قميص الليل أن يتمزقا.

وقال ابن حمديس الصقلي:

حتى انجلى الإصباح عن إظلامه
كالستر يرفع عن مليك يحجب

وقال ابن المعتز:

سترى والصبح تحت الليل باد
كطرف ابلق تحت الجلال

وقال آخر:

وولى وكف الريح يرسل شعره
كما ستر الليل البهيم نهارد

وإن كان قد يشبه النهار أيضا به ومن ذلك قول بعض الوزراء:

يا شقيقي أتى الفتح بوجهٍ
ستر الليل نورُه وبهاؤه
فاصطبح واغتنم مسرة يوم
ليس تدري بما يجيء مساؤه

وظهور النهار المضيء من الليل المظلم أنسب بظهور المسلخ الأبيض من الجلد الساتر حتى أنه لا يظهر في بادي الرأي أن المستعار له سوى ظهور النهار من الليل، ومن أجل ذلك لم يقع في كلام الشعراء المشيرين إلى الآية إلا بذلك

قال صلاح الدين الصفدي:

إذا رنت أقسم من خوفها
هاروت لا عاد إلى السحر
ومفرقها الوضاح ينفي الدجا
ويسلخ الليل عن الفجر

وانخرطت في سلكهم فقلت:

أسبلت شعرها على وجنها فخرا
على شعرتها يربها ودلالا
ثم لما أماطت الشعر عنه
سلخت من ليل نهارا تلالا

وقلت:

بأبيه سمرةٌ وهو بَدَا
آية فيه لمن يعشق أن
فضة شيبت بأبها نظار
سلخ الله من الليل النهار

وهذا من قول:

عابوا أباد بسهرة فأجبتهم
إن الصباح أبوه ليل مظلم

فاستعمال إذا الفجائية في قوله تعالى: (فإذا هم مظلمون) على هذا ظاهر لأن حصول الإظلام عقب إزالة الظلام غير مترقب، لكن يشكل عليه الفاء.

قال القزويني المتفرع على ظهور النهار من ظلمة الليل الإبصار لا الظلام فيقتضي أن لا يعقب ذلك بقوله فإذا هم مظلمون، بل بقوله فإذا هم مبصرون، قال الشارح العلامة: بأن الفاء لما يعد في العادة مرتبا غير متراخ، وهذا يختلف باختلاف الأمور والعادات، فقد يطول الزمان والعادة في مثله تقتضي عدم اعتبار المهلة فيوتي بثم كما في قوله تعالى: (ثم خلق النطفة علقة) الآية، فإن النطفة تنقلب علقة بعد أربعين يوما، ومقتضى العادة أقل منها، وقد يكون بالعكس كما في هذه الآية، فإن زمان النهار وإن توسط بين إخراج النهار من الليل وبين دخول الظلام، لكن لعظم دخول الظلام بعد إضاءة النهار وكونه مما لا يغني أن يحصل إلا في إضعاف ذلك الزمان، عد الزمان قديما وجعل الليل كأنه يفاجيهم عقب إخراج النهار من الليل بلا مهلة، قلت:

وقد يكون في ذلك الإشارة إلى ما تقدم لنا من طلب الليل للنهار طلبا حثيثا، فعلى هذا تكون الآية مشتملة على الشقين من قوله تعالى يولج الليل إلخ. ويكور إلخ وقل أرايتم إلخ والتخالف بين الجملتين لما قلنا.

وفي الدر المنثور إخراج ابن جرير عن مجاهد في قوله تعالى: وآية لهم، الآية، قال يخرج أحدهما من الأخر، وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة قوله، وآية لهم الليل نسلخ الآية قال بكقوله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل، قال الحاتمي في فتوحاته قد أجمع الشرع والعرف على تأخير ليلة عرفة عن يومها وسائر الأيام عندهم الليلة لليوم الذي يكون صبيحتها، وذلك لكون الشارع، قال من أدرك الوقوف بعرفة ليلة جمع قبل الفجر، فقد أدرك الحج، الحج عرفة، فهذا سبب تأخير هذه الليلة عن يومها وإلا فلو أجروا على الأصل لقدموا الليلة على نهارها، فإن موجد الزمان وهو الله يقول وآية لهم الليل نسلخ منه النهار، فيجعل الليل أصلا، وسلخ منه النهار، كما تسلخ الشاة من جلدها، فكان الظهور لليل والنهار مبطون فيه.

فتبين أن المستعار منه ظهور اللحم بعد سلخ الجلد عنه، والمستعار له هو ظهور المستور إلخ، ظهر بإزالة الساتر عنه وهذان بالإتفاق وإنما الإختلاف في تعيين المستور إلخ ظهوره مستعار له، فذهب الجمهور إلى أنه الليل بعد زوال ضوء النهار، والشيخان وجار الله في الأساس إلى أنه النهار بعد زوال ظلمة الليل، قال في الأساس، من المجاز سلخ الله النهار من الليل وسلخت عنه ذرعه والأول بمعنى الإخراج، والثاني بمعنى النزع، فظهور الاختلاف بين الفرقين عند ذوي الأنظار، كأنه عَلَمٌ في رأسه نار.

وأما الجواب بأن المراد بظهور النهار تميزه من ظلمة الليل وبأن الظهور هاهنا بمعنى الزوال، قال أبو دويب:

وعيّرها الواشون أني أحبها
فتلك شكاة ظاهر عنك عارها

فالمعنى أن المستعار له زوال ضوء النهار عن ظلمة الليل، فأقام من هذا مقام عن، فيكون موافقا لكلام ثم غيرهما، فبطلانهما لدى الحادث ظاهر ظهور نار القرى ليلا على علم، وأما حمل عبارتهما على القلب أي ظهور ظلمة الليل من النهار ففساده وتعسفه كأنه الشمس، لا نار على علم.

ولو أن تقول على القول الأول أستعير نحو الليل الشاة المسلوخة لليل الظاهر بغير إزالة الساتر، وعلى الثاني للنهار الظاهر بعد إزالة الساتر، استعارة بالكناية وتخييلية هـ والله أعلم بفحوى كلامه وبأسرار خطابه.

كملت بحمد الله وحسن عونه الجميل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد رسوله (ص).

من حظ مؤلفه شيخنا الأديب، وقدوتنا الأديب، سيدي حمدون بن الحاج الفاسي كان الله له آمين.

ح ع* 2254

في ظلال الحديث

الحديث الخامس والأربعون: فضل دوام العمل وإن قل

■ إعداد الأستاذ: عبد الله بوغوتة

نص الحديث:

عن عائشة أن رسول الله (ص) قال: "سددوا وقاربوا واعلموا أن لن يدخل أحدكم عمله الجنة وأن أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل" رواه البخاري.

راوي الحديث:

هي الصديقة بنت الصديق، السيدة المبراة، أم المؤمنين، كنيتها أم عبد الرحمن، عائشة بنت أبي بكر (ض)، إحدى أزواج النبي (ص)، وكانت من أحب نسائه إليه بعد خديجة (ض)، لم يتزوج النبي (ص) بكرا غيرها، وكانت (ض) صائمة الدهر صاحبة كرم وجود وزهد وفقه وعلم وحفظ وفصاحة.

قال أبو موسى الأشعري: "ماأشكل علينا حديث قط فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها منه علما". وقال الزهري: "لو جمع علم جميع أزواج النبي وجميع النساء كان علم عائشة أكثر".

قالت أم ذر (ض): بعث ابن الزبير إلى عائشة بمال. أراه مائتي ألف أو مائة ألف. فقسمته بين الناس، وأمست وهي صائمة وماعندها من ذلك درهم، ومناقبها كثيرة من أن تعد رضي الله عنها وأرضاها.

روي لها 1210 حديثا، توفيت رضي الله عنها وعمرها66 سنة ودفنت بالبقيع.

تخريج الحديث:

أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقائق، باب القصد والمداومة على العمل(ج5 ص2373 ح6099).قال: حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثنا سليمان عن موسى بن عقبة عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة.وذكر الحديث. وابن حبان في صحيحه (ج3 ص313ح1037) وابن ماجة في سننه(ج1. ص102ـح277).(ج1ـص102ـح278). وابن حنبل في مسنده (ج5 ص277 ح 22432).(ج5ص280ح22467).(ج5ص 282ـــح22489).والحاكم في مستدركه(ج1. ص221. ح447).(ج1. ص221. ح448).(ج1. ص222ح449).وأخرجه غيرهم.

سند الحديث:

حدثنا عبد العزيز بن عبد الله: هو أبو القاسم، عبد العزيز بن عبد الله بن يحيى بن عبد الله بن أويس بن سعد بن أبي سرح العامري الأويسي المدني الفقيه، من كبار تبع الأتباع، سمع الليث ومالك بن أنس، ويذكر أنه سمع الكثير من الموطأ من مالك وسمع بقية الموطأ قراءة على مالك، قال أبو حاتم الرازي هو صدوق أحب إلي من يحيى بن بكير، وذكره ابن حبان في كتاب الثقات، ومات في يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلةبقيت من ذي الحجة سنة خمس وسبعين ومائتين (275هـ)، وبلغ ستا وثمانين سنة ولم يغير شيبه وكان جميلا وسيما بهيا.

حدثنا سليمان:

هو أبو محمد، سليمان بن بلال التيمي القرشي مولاهم، قال أبو طالب عن أحمد لاباس به ثقة وقال الدوري عن ابن معين ثقة وصالح، وذكره ابن حبان في الثقات وقال ابن سعد كان بربريا جميلا عاقلا حسن الهيئة وكان يفتي بالبلد وولي خراج المدينة وكان ثقة كثير الحديث مات بالمدينة سنة172.

عن موسى بن عقبة:

هو أبو محمد، موسى بن عقبة بن أبي عياش الأسدي المدني الحافظ مولى آل الزبير بن العوام، قال الواقدي كان موسى مفتيا فقيها وقال أبو حاتم صالح وقال أحمد بن حنبل عليكم بمغازي موسى بن عقبة فإنه ثقة، كان مالك إذا سئل عن المغازي يقول عليك بمغازي الرجل الصالح موسى بن عقبة فإنها أصح المغازي، وكان وفاته في سنة إحدى وأربعين ومائة رحمه الله تعالى.

عن أبي سلمة بن عبد الرحمن:

هو عبد الله بن عبد الرحمن بن عوف أبو سلمة القرشي ثم الزهري المديني سمع أبا هريرة وابن عباس وابن عمر رضي الله تعالى عنهم. قال: الزهري كان أبو سلمة يماري بن عباس فحرم من ذلك علما كثيرا قال مصعب يقال إن أبا سلمة بن عبد الرحمن أرضعته أم كلثوم بنت أبي بكر وكان يلج على عائشة وهو من الطبقة الوسطى من التابعين، توفي بالمدينة سنة:94هـ.

أهمية الحديث:

هذا حديث جليل القدر، عظيم الفوائد، يبين فيه نبينا (ص)، ضرورة الاجتهاد والاستقامة على الدين، والاقتصاد في الطاعة والتوسط في ذلك من غير غلو ولاتفريط، ولكن في وسطية واعتدال، مع الدوام والاستمرار، وينبه إلى مسألة عقدية هامة تتعلق بالعمل وعفو الله ورحمته التي هي السبب الأساس في الفوز بالجنة، حتى لايغتر أحد بعمله، فلله المنة من قبل ومن بعد.

مفردات الحديث:

"سددوا": السداد، الاستقامة في العمل والصواب في القول والعمل.

"قاربوا": اقتربوا من السداد،وقيل اقتصدوا وتوسطوا.

المعنى العام

1. الوسطية والاعتدال أساس الأقوال والأعمال:

قوله (سددوا) معناه اقصدوا السداد أي الصواب، وقوله (وقاربوا) أي لاتفرطوا فتجهدوا أنفسكم في العبادة لئلا يفضي بكم ذلك إلى الملال فتتركوا العمل فتفرطوا، وقد أخرج البزار من حديث عبد الله بن عمروموقوفا "إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق، ولاتبغضوا إلى أنفسكم عبادة الله فإن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى" والمنبت أي الذي عطب مركوبه من شدة السير، مأخوذمن البت وهو القطع أي صار منقطعا لم يصل إلى مقصوده وفقد مركوبه. الذي كان يوصله لو رفق به. وفيه إشارة إلى الحث على الرفق في الأمر كله، ومن هذا يتبين لنا أنه ليس من الإسلام التشدد في غير موضعه، وإنما الإسلام يدعونا إلى عكس ذلك وهو الوسطية والاعتدال.

فعن أبي وائل شقيق بن سلمة، قال: "كان ابن مسعود (ض) يذكرنا في كل خميس، فقال له رجل: ياأبا عبد الرحمن، لوددت أنك ذكرتنا كل يوم، فقال: أما انه يمنعني من ذلك أني أكره أن أملكم وأني أتخولكم بالموعظة، كما كان رسول الله (ص) يتخولنا بها مخافة السآمة علينا"متفق عليه. فإذا كان هذا داب رسول الله (ص) مع أصحابه الذين كانوا يتمنون سماع كلامه. ولايسأمون منه ولو طال بهم المقام، لأن كلامه منطلقا ومنتهى لايمل أبدا فما بالنا نحن لانتخذ هذا المنهج النبوي العظيم في كل أعمالنا وأقوالنا ونحن نعلم من نحن.

ولعل أشهر مانستشهد به في هذا الباب هو حديث الثلاثة الذي تقالوا عبادة رسول الله (أي رأوها قليلة) فعزموا على الإكثار والمبالغة بغية الوصول إلى ارفع المقامات فعن أنس (ض) قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي (ص)، يسألون عن عبادة النبي (ص) فلما أخبروا. بها. كأنهم تقالوها، وقالوا: أين نحن من النبي (ص) قد غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر، قال أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبدا، وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر ولاأفطر. وقال الآخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا. فجاء رسول الله (ص) إليهم. فقال: "أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟.. أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم به لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء. فمن رغب عن سنتي فليس مني" متفق عليه.

وعن أبي هريرة (ض) عن النبي (ص)قال: "إن الدين يسر، ولن يشاد الدين إلا غلبه فسددوا وقاربوا وابشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة" رواه البخاري.

والشواهد في هذا الباب عديدة، تؤكد على الوسطية والاعتدال في الأمركله، إذ لا إفراط ولاتفريط في الدين، في الأقوال والأفعال، وهذا مايؤكده آخر الحديث،أن خير وأحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قل. والأصل في العمل كله الإخلاص لله تعالى، والصواب لما جاء به رسول الهدى (ص)، ومن ابتغى الهدى في غير كتاب الله وهدي رسول الله فقد ضل ضلالا بعيدا، وخسر خسرانا مبينا.

2. العمل الصالح أساس التفاضل في الجنة، ورحمة الله أساس الدخول إليها:

لهذا الجزء من الحديث روايات من طرق متعددة وبألفاظ تفيد جميعها ماذهب إليه ابن بطال في الجمع بين هذا الحديث وقوله تعالى: (وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون) محصله تحمل الآية على أن الجنة تنال المنازل فيها بالأعمال، فإن درجات الجنة متفاوتة بحسب تفاوت الأعمال وأن يحمل الحديث على دخول الجنةوالخلود فيها. ثم أورد على هذا الجواب قوله تعالى (سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) فصرح بأن دخول الجنة أيضا بالأعمال، وأجاب بأنه لفظ مجمل بينه الحديث، والتقدير ادخلوا منازل الجنة وقصورها بما كنتم تعملون، وليس المراد بذلك أصل الدخول. ثم قال: ويجوز أن يكون الحديث مفسرا للآية، والتقدير ادخلوها بما كنتم تعملون مع رحمة الله لكم وتفضله عليكم، لأن اقتسام منازل الجنة برحمته وكذا أصل دخول الجنة هو برحمته حيث أنهم العاملين ماناالوا به ذلك وما يخلو شيء من مجازاته لعباده من رحمته وفضله، وقد تفضل عليهم ابتداء بإيجادهم ثم برزقهم ثم بتعليمهم وقال عياض: أن من رحمة الله توفيقه للعمل وهدايته للطاعة كل ذلك لم يستحق العامل بعمله وإنما هو بفضل الله وبرحمته. وقال ابن الجوزي: يتحصل عن ذلك أربعة أجوبة: الأول:التوفيق للعمل من رحمة الله، ولولا رحمة الله السابقةماحصل الإيمان ولا الطاعة التي يحصل بها النجاة. الثاني: أن منافع العبد لسيده فعمله مستحق لمولاه، فمهما أنعم عليه من الجزاء فهو من فضله الثالث: جاء في بعض الأحاديث أن نفس دخول الجنة برحمة الله، واقتسام الدرجات بالأعمال. الرابع: أعمال الطاعات كانت في زمن يسير والثواب لاينفد فالإنعام الذي لاينفد في جزاء ماينفد بالفضل بمقابلة الأعمال.(فتح الباري).

3. الدوام والاستمرار في الطاعة أساس الفلاح:

إن الله عز وجل هو الخالق المعبود في كل وقت وحين، ولايجوز لاعقلا ولاشرعا أن يخصص له شهر واحد، أو موسم واحد في السنة كلها، فهو في السنة كلها يكلؤنا ويرعانا ويرزقنا ويحفظنا من كل سوء، ولو تركنا طرفة عين لهلكنا.

وفرائض الله فرضت على الدوام إلا ماندر، كالحج فهو مرة واحدة في العمر، وإن من هدي النبي (ص) المداومة على الأعمال الصالحة فعن عائشة (ض) قالت: (كان رسول الله (ص): إذا عمل عملا أثبته. وكان إذا نام من الليل أو مرض صلى من النهار ثنتي عشر ركعة) رواه مسلم. يعني أنه عليه الصلاة والسلام كان يقضي صلاة الليل في النهار إن فاتته بعد المرض أو النوم،وإن الأعمال التي يداوم عليها صاحبها أحب الأعمال إلى الله، كما هو مبين في الحديث الذي بين أيدينا.

وإن للمداومة على الطاعات آثارا حميدة منها:

1. دوام اتصال القلب بخالقه مما يعطيه قوة وثباتا وتعلقا بالله عزوجل وتوكلا عليه، ومن ثم يكفيه الله همه، قال تعالى: (ومن يتوكل على الله فهو حسبه).

2. تعهد النفس من الغفلة وتدريبها على لزوم الخيرات حتى تسهل عليها وتصبح بعد ذلك ديدنا لها لاتنفك عنها.

3. إن ذلك سبب لمحبة الله تعالى للعبد وولاية العبد له قال تعالى: (إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين).

4. أن المداومة على الطاعة سبب للنجاة من الشدائد، قال صلى الله عليه وسلم: (احفظ الله يحفظك) الترمذي. وهذا يعني أن تحفظ الله بحفظ حدوده وعدم تعديها وحفظ أوامره بفعلها، فيحفظك الله في نفسك ومالك وأهلك ودينك.

5. المداومة على الطاعات تنهي صاحبها عن الفواحش، قال تعالى:(اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر).

6. المداومة على الطاعات سبب لمحو الخطايا والذنوب، والأدلة على ذلك كثيرة منها قوله تعالى: (إن الحسنات يذهبن السيئات) وفي الحديث قوله (ص): "أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء؟قالوا: لا. قال:فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا".

7. المداومة على الطاعات سبب لحسن الختام، وذلك أن المؤمن يصبر على اداء الطاعات كما يصبر عن المعاصي والسيئات محتسبا الأجر على الله عز وجل، فيقوى قلبه على هذا وتشتد عزيمته على نيل الخيرات فلا يزال يجاهد نفسه فيها وفي الكف عن السيئات، فيوفقه الله عز وجل لحسن الخاتمة.قال تعالى :(والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين)وقال تعالى: (يثبت الله الذين آمنوا في الحياة الدنيا وفي الآخرة).

8. المداومة على الأعمال الصالحة سبب لطهارة القلب من النفاق والنجاة من النار، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ص): "من صلى لله أربعين يوما في جماعة يدرك التكبيرة الأولى كتبت له براءتان: براءة من النار وبراءة من النفاق).الترمذي.

وأنه من داوم على علم صالح ثم انقطع عنه بسبب مرض أو سفر أو عذر شرعي كتب له أجر ذلك العمل وكأنه قد عمله، فقد أخرج البخاري من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله (ص): "إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيما صحيحا" صحيح البخاري.

أفكار الحديث:

- الاقتصاد في الطاعة.
- عدم تحقير المعروف مهما كان.
- سبيل دخول الجنة.
- المداومة على العمل الصالح.

حديث المنابر

في مرض القلب وصحته: مواصفات القلب السليم

■ إعداد الاستاذ: محمد بوطيب

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد، الذي لاشريك له في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، الحي القيوم، الأول والآخر والظاهر والباطن، تقدس عن الأضداد، والأنداد والشركاء والأشكال، لامانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، ولاراد لحكمه، ولامعقب لأمره (وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال)سورة الرعد/الآية:11 . وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله، أمينه على وحيه، وخيرته من خلقه، أرسله الله رحمة للعالمين، وإماما للمتقين، وحسرة على الكافرين، فهدى به إلى أقوم الطرق وأوضح السبل، وافترض على العباد طاعته ومحبته، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الطاهرين رضي الله عنهم .

(يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولاتموتن إلا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا...)سورة آل عمران/الآية:103.

أما بعد، فعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله (ص) يقول: (الحلال بين الحرام وبين، وبينهماأمور مشتبهات لايعلمها كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات كراع يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه. ألا وإن لكل ملك حمى، ألا إن حمى الله محارمه. ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب)رواه البخاري كتاب الإيمان، ومسلم كتاب السلم. ومعنى القلب هنا ليس هو القلب الجسماني، الموجود في الصدر، وإنما هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب صلة. هو اللطيفة العالمة المدركة من الإنسان.. هو الذي أراده الله بقوله (قل الروح من أمر ربي) سورة الإسراء/الآية:85. لقد خص هذا القلب بالذكر لأنه أمير البدن، بصلاحه يصلح البدن وبفساده يفسد البدن، فهو ملكها، وهي المنفذة لأمره، وهو المسؤول عنها كلها.. القلب هو المتصرف في الجوارح.. هو مركز القرار والإرادة.. هو الأمر الناهي.. والجسد كله تحت أمره..من القلب تكتسب الجوارح الاستقامة والزيغ.. تتبعه فيما يعقده من العزم أو يحله... لهذا كان الاهتمام بتصحيحه وتسديده وتطبيبه أول ما اعتمد عليه المربون المسلمون.. نقطة البداية في التربية الصحيحة، هي التركيز على القلب، حتى تصل به إلى الصحة، بأن تجعل القلب مؤمنا خالص الإيمان.. فالقلب الصحيح هو سبيل النجاة يوم القيامة (يوم لاينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم) سورة الشعراء/الآية:89. والسليم هو السالم.. ضد المريض، والسقيم، والعليل.. القلب السليم هو الذي سلم من كل شهوة تخالف أمر الله ونهيه، ومن كل شبهة تعارض خبره.. سلم من عبودية ماسوى الله، ومن تحكيم غير رسوله.. القلب السليم هو الذي سلم من أن يكون لغير الله فيه شرك، بل خلصت عبوديته لله تعالى، إرادة ومحبة وتوكلا وإنابة وخشية ورجاء، وخلص عمله لله.. إن أحب، أحب في الله، وإن أبغض، أبغض في الله، وإن أعطى، أعطى لله ،وإن منع، منع لله..القلب السليم هو الخارج عن دائرة إغراء الشيطان ووسوسته وفتنته، سواء كان الشيطان شيطان إنس أو جن، قال تعالى (شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك مافعلوه فذرهم ومايفترون ولتصغى إليه أفئدة الذين لايؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون) سورة الأنعام/الآية:113.إذا صلح القلب فإنه يكون هو الموجه، إنه يتخلص من إيحاءات الشياطين ثم هو يرفض الاستسلام لشهوات النفس، وبنفس الوقت يكون هو الموجه لسلوك الإنسان على ضوء شريعة الله عز وجل هذه هي هذه حالة الإيمان والنور، قال تعالى (أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه) سورة الزمر/الآية:22.

القلب السليم هو الذي يتلقى أوامر الله بمنتهى التسليم والرضى، ويسير الجسم به على حسب أوامر الله بكامل القوة والحيوية والجدية. هو الذي همه كله في الله، وحبه كله له، وإخلاصه كله له، لايفتر عن ذكر ربه، ولا يسأم من خدمته، ولايأنس بغيره، إلا بمن يدله عليه، ويذكره به، وكلما وجد من نفسه التفاتا إلى غيره تلا عليها (يأيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية)القلب السليم إذا دخل في الصلاة ذهب عنه همه وغمه بالدنيا، ووجد فيها راحته ونعيمه، وقرت عينه.

عباد الله، إن صلاح القلب به صلاح النفس، وصلاح الجسد وصلاح الروح، وهو نقطة البداية في الاستقامة، فبهذا الصلاح يكون استعداد الإنسان للتلقي عن الله كاملا، والقدرة على الخلاص من الفتنة متوافرة بإذن الله، ومن ثم فنقطة البداية الصحيحة لحياة إسلامية كاملة هي صلاح القلب وإصلاحه والسير إلى الله في جوهره هو السير بالقلب نحو صلاحه ثم الاستمرار به في حالة الصلاح والقيام بحقوق العبودية الخالصة لله عز وجل حتى الموت، كما أمر الله رسوله (ص) في قوله:(واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) سورة الحجر/الآية:99.

اللهم علمنا ماينفعنا وانفعنا بما نتعلم وارزقنا علما نافعا آمين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

❖❖❖❖

الحمد لله الذي خلق فسوى، والذي قدر فهدى خلق الإنسان على الفطرة السوية، وكرمه على سائر خلقه، فمنحه حرية الإدارة وأهلية الاختيار، حيث زوده بقابلية التوجه إلى الخير ، وبين له سبيله وعاقبته، عن طريق هداية النبوة وإدراك العقل، وحذره من الشر ونوازعه وما يترتب عليه من سوء العاقبة والخسران المبين، قال تعالى: ونفس وماسواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها)، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحابته خير أمة أخرجت للناس ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين

(يأيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ماقدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون..) سورة الحشر/الآية:18.

وبعد، فإن الفشل في إصلاح القلب يخرج لنا نماذج مرضية من البشر، بل قد يخرج لنا نوعا من الغلاة لايطاقون.. إن الفشل في إصلاح القلوب يخرج لنا أصنافا من الفساق والمنافقين والكاذبين والمرتدين، إنه حيث لاقلب سليم فثم الهلاك الدنيوي والأخروي،فلا تذكر بقرآن لأن القرآن يحتاج إلى قلب سليم (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها)سورة محمد/الآية:24، (إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) سورة ق/الآية:37. وحيث لاقلب سليم فلا نجاة عند الله ولا وعظ ينفع قال تعالى (ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم)سورة محمد/الآية:16، إنه لابد من جهد متواصل مع كل مسلم بل مع كل إنسان للوصول إلى القلب السليم، وعلينا أن نركز منذ الابتداء على كل من توجه إلى الله لكي نصل به إلى القلب السليم، تلك بداية صحيحة.

إن الإنسان بين أمرين، إما أن يوجه سلوكه كله أو يكون قلبه موجها بأشياء كثيرة.. القلب عندما يكون قليل النور ضعيف الإيمان أواليقين، وعندما يكون مريضا أو قاسيا فإنه في هذه الأحوال كلها يكون موجها تتغلب النفس عليه فنجده مستسلما أمام شهوات النفس مستسلما أمام أمراضها، مثلا، الكبر يوجه قلبه ثم ذاته، وقل مثل ذلك في أمراض القلب الأخرى كالعجب والخيلاء والغش والبغض والجهل والكسل واتباع الهوى... وغيرها، كل منها يوجه تصرفاته: الشهوة الجنسية تسيطر على قلبه فيستسلم لها، مغريات الحياة الجنسية تسيطر عليه فيستسلم لها، وإيحاء الشياطين شياطين الإنس والجن تسيطر عليه فتوجهه ويخضع لها ويفتتن بها، وقراراته الفعلية تكون مريضة ومتأثرة بهذه المعاني كلها.. إنها إذن الكارثة نفس تطلب وقلب يتجاوب، وانقطاع الصلة بين الإنسان وقلبه كما أخبر بذلك سبحانه في قوله (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون)سورة الأنفال/الآية:24.

لذلك كان صلى الله عليه وسلم يدعو ، يقول: اللهم مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك اللهم ارزقنا حبك وحب من ينفعنا حبه عندك.

اللهم اغفر لنا خطيئتنا وجهلنا، وإسرافنا في أمرنا، وما أنت أعلم به منا، اللهم اغفر لنا جدنا وهزلنا، وخطأنا وعمدنا. اللهم اغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا وما أسررنا وماأعلنا، وما أنت أعلم به منا، أنت إلهنا لا إله إلا أنت.

رسالة وإشارة:

من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه

إعداد الاستاذ: عبد الله بن الطيبي كَديرة

أخي العزيز ، هاهو حديث أخرجه الترمذي وابن ماجة مرويا عن سيدنا الصحابي الجليل أبي هريرة رضي الله عنه وأرضاه.. وحقا هو أكثر الصحب الكرام رواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه وسلم، وأنعم برسول الله مرويا عنه..وأنعم بأبي هريرة راويا عن رسول الله مكثرا.. وأنعم بكثرة ماروى أبو هريرة عن رسول الله ، فقد صحب أبو هريرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه وسلم ، وكان أكثر من صحبه ملازمة له سحابات نهاره ، وأجزاء من ليله.. يرافقه حيث سار على شبع بطنه.. وكان أجرأ من صحبه على سؤاله، وكثيرا ماكان يسأل عن أمور لا يسأل عنها غيره..لحرصه على العلم ، ولا يهمه أمر إلا سأل عنه، وقد دعا يوما بين يديه صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه وسلم لنفسه بهذا الدعاء الذي لم يدع بمثله إلا أبو هريرة أو من كان مثله في لهفته على طلب العلم:» اللهم إني أسألك علما لاينسى، فأمن الرسول صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه وسلم ، على دعائه وهل ينكر مسلم أو يجحد استجابة دعائه من ربه عز وجل؟ لقد شكا إلى النبي يوما أنه يسمع منه أشياء يحرص على استيعابها حفظا وفهما فتتفلت منه بالنسيان ... فقال له عليه صلاة الله وسلامه وآله وصحبه:» ابسط رداءك ، فبسطه فحثى بكفيه فيه، فحدثه كثيرا، ومانسي شيئا حدثه به....

إنه الصحابي الذي عز عليه فراق رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه وسلم، حتى عندما أرسله في أواخر السنة الثامنة للهجرة لدعوة أهل البحرين إلى الإسلام، ولكنه أطاع رسول الله فيما أحب.. فكان مما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه وسلم داعيا: أستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه، استودع الله شخصه ودينه وأمانته وعلمه... فهل تضيع مثل هذه الودائع عند أبي هريرة وقد حصنها رسول الله بدعائه المستجاب؟.

أبو هريرة مجمع على علمه وحفظه وفهمه وفضله من كل الصحب الكرام والسلف الصالح بدون استثناء، ألم يبعثه الصديق في خلافته إلى البحرين معلما ومفقها؟

ألم يوليه الفاروق على البحرين؟ ثم عزله ... ثم عزم على إعادة توليته فاعتذر.

أرسل إليه مروان بن الحكم ليحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه وسلم .. فأجلس له كاتبا خلفه يسجل ما يسمع من أحاديث منه.. وبعد سنة عاد به إلى مثل مجلسه ليحدثه، وطلب من كاتبه أن يقارن بين ما يسمع وما قد كتب سابقا، فما استطاع أن يسجل عليه أنه غير حرفا عن حرف..

وقد أجمع المحققون من أهل العلم بالحديث أن له في المسانيد نحو ثلاثمائة وخمسة آلاف حديث...

ونحن نحبه ونصدقه في كل ما ثبت لنا عنه مما روى من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه وسلم، لأنه . وإن أكثر . كان رضي الله عنه وأرضاه من الذاكرين الله كثيرا .. ثبت عنه أنه لا يفتر عن التسبيح والتحميد آناء الليل وأطراف النهار ، صح عنه أنه كان يسبح كل يوم اثنتي عشرة ألف تسبيحة..فهل مثل هذا الإنسان يرضى لنفسه أن يتبوأ مقعده من النار باختلاف الحديث عن رسول الله ؟! هل كان مثله في خشيته . ككل العلماء العاملين . لله أن يشتري بحكمة النبوة ثمنا قليلا ، وهو الذي كان يحيا بضمير حي وقلب غير غافل يخشى عواقب التفريط أو الإفراط وقد سئل عن سبب عدم فتور لسانه وقلبه عن ذكر الله بالتسبيح ، فقال: أسبح بقدر ذنبي..

وبقدر تسبيحه كان تحميده في كل حين وعلى كال حال .. فد سئل عن سبب كثرة تحميده، فقال : أكثر شكر الله، فقد كنت أعمل أجيرا عند سبرة بن غزوان . وهي سيدة من أسرة كريمة غنية . بنفقة رحلي وطعام بطني ، فإذا ركبوا سقت بهم، وإذا نزلوا خدمتهم .. فزوجنيها الله .. فأنا الآن أركب ، وإذا نزلت خدمت..

هذا الإنسان الذي بلغ هذه الدرجة من العلو بتواضعه ، هو الذي أجمع السلف الصالح لهذه الأمة من التابيعن والفقهاء والعلماء والمحدثين على أن يسموه : الإمام ، الفقيه، المجتهد، الحافظ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه وسلم ، أبو هريورة الدوسي اليماني، سيد الحفاظ الأثبات...

أتدري أيها العزيز لماذا اشتهر بأبي هريرة؟ إنها كنيته ، قال: وجدت أولاد هرة برية، فأخذتها في كمي ، فكنيت بذلك ..قلب مؤمن شرحه الله بالرحمة على خلقه حتى من الحيوانات..

إنه قلب بر بأمه التي كان يرحمها حتى في كفرها، وكان يعيش معها ، وقد أسلمت بعده، وهي الصحابية ميمونة بنت صبيح رضي الله عنها..

وقد بارك الله في عمره وأجله ورزقه وعلمه .. هذا العلم الذي كان قمة من تلقاه عنهم سيدنا محمد رسول اله صلى الله عليه وسلم ، ثم عائشة أم المؤمنين الصديقة ابنة الصديق رضي الله عنهما، ثم أبي بن كعب وأبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب الفاروق، وأسامة بن زيد .. رضي الله عنهم أجمعين..

كما بارك الله في تلاميذه الذين أخذوا عنه إرث النبوة من الصحابة والتابعين، وقد بلغوا في أرجح الأقوال ثمانمائة من العلماء الأعلام.

ولم يزده علمه وتعلمه وتعليمه إلا رفعة في التواضع ، فقد حدث عنه أحد تلاميذه، يقول: كنا عند أبي هريرة، وعليه ثوبان ممشقان(نسلت خيوطهما) من كتان ، فتمخط فقال: بخ، بخ أبو هريرة يتمخط في الكتان، لقد رأيتني وإني لأخر فيما بين منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه وسلم، إلى حجرة عائشة مغشيا علي ، فيجيء الجائي فيضع رجله على عنقي ، ويرى أني مجنون، وما بي من جنون ، مابي إلا بالجوع..

إنسان على هذه الدرجة من الرفعة في الخلق والسمو في الشيم .. هذه والتفوق في العلم ، والحرص على العمل به.. كيف يسوغ لإنسان يحترم نفسه . أيها الحبيب . أن ينعته بما ليس فيه .. لقد كان من دعاء هذا الإنسان العظيم كلما بلغه أن أحدهم يقدحه أو يمدحه» اللهم اجعلني خيرا مما يظنون ، واغفر لي ما يعلمون...

ألا أمضي معك في المزيد من علو همته في العلم والعمل؟ لقد كان حفظه الخارق رضي الله عنه وأرضاه من معجزات النبوة .وهاك الدليل : أخبرنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه وسلم قال له: « ألا تسألني من هذه الغنائم التي يسألني منها أصحابك؟ فقال : أسألك أن تعلمني مما علمك الله ، فنزع نمرة كانت على ظهره فبسطها بينهما، حتى كأنه ينظر إليها والنمل يدب عليها ، فحدثه حتى إذا استوعب حديثه قال: اجمعها فصرها إليك، فأصبح لا يسقط حرفا مما حدثه..

وأمضي فأحدثك عن مثاليته في بره بأمه حتى في ماضي كفرها، كان يدعوها إلى الإسلام وهي مشركة ، وتبرمت يوما بإلحاحه فأسمعته مقالة سوء في حبيبه رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه وسلم . فمضى يبكي ليبلغ أمره وأمرها إليه ، ويسأله أن يدعو لها بالهداية .واستجاب من نعته ربه بأنه على خلق عظيم وأنه رؤوف رحيم.. فدعا عليه صلاة الله وسلامه وآله وصحبه: « اللهم اهد أم ابي هريرة ، ومضى هذا الإنسان البار المؤمن المسلم مستبشرا موقنا باستجابة الدعاء النبوي الكريم لأمه، فلم يكد يصل إلى بيته حتى وجد بابه مجافا، وسمعت أمه خشف قدميه فقالت: مكانك: أبا هريرة، وسمع خضخضة الماء ، فعرف أنها تغتسل، فانتظر حتى أنهت غسلها ولبست درعها وخمارها وفتحت الباب .. واستقبلته تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، فبادر يعجل العودة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه وسلم وهو يبكي مغتبطا فرحا وقال يارسول الله أبشر ، قد استجاب الله دعوتك وهدى أم أبي هريرة، فحمد الله وأثنى عليه وقال خيرا.. والمؤمن طموح يتطلع إلى المعالي في دينه ودنياه وآخرته ، لنفسه ولغيره من الأبعدين والأقربين ، فقال مغتنما استبشار الرسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه وسلم: ادع الله يارسول الله أن يحببني انا وأمي إلى عباده المؤمنين ويحببهم إلينا ، فقال : اللهم حبب عبيدك هذا . يعني أبا هريرة . وأمه إلى عبادك المؤمنين ، فما خلق مؤمن يسمع بي ولا يراني إلا وأحبني..

أخي الحبيب! أين يريد بعض الناس أن يصنفوا أنفسهم بالافتراء على هذا الانسان الكريم الحبيب رضي الله عنه وأرضاه !؟ جعلنا الله وإياك من المؤمنين الذين يحبونه وأمه وكل المؤمنين.. وألا نكون ممن يتدخلون فيما لا يعنيهم من غيب قلوب الناس . خصوصا أشرافهم وسادتهم وسراتهم ومثلهم العليا التي زينت الدنيا بوجو دهم فيها بالماضي والحاضر... وستظل مزدانة في المستقبل...

وقد عنونت رسالتي هذه إليك أيها الحبيب بحديث » من حسن إسلام المرء تركه ما لايعنيه، وهو حديث أجمع السلف والخلف من علماء المسلمين على أنه أصل عظيم من أصول الأدب وأنه جامع آداب الخير...

فهل مما يعني أحدا يحترم نفسه أن يحرم أمة كاملة من هذا الخير لمجرد هوى فضولي سخيف!؟ نعم أيها الأخ الحبيب ، من إسلام المؤمن الحسن تركه مالا يعنيه، من أي قول أو فعل.. واقتصاره على ما يهمه من قصد ورغبة بعناية شديدة وفق ما يعرفه ويعرف له من الشرع والإسلام.. فيترك ما حرم الله .. بل حتى المشتبهات .. حياء من الله..

ومن الحياء من الله حق الحياء اتقاؤه جل وعلا في حرمات المؤمنين وأعراضهم أمواتا وأحياء..

ألم يأمر صلى الله عليه وسلم وآله وصحبه وسلم بإفشاء السلام وقلة الكلام إلا فيما يعني!؟ فهل من إفشاء السلام السطو على أعراض خير من شرفت الدنيا بوجودهم فيها ، وخير من تجلت فيهم كرامة الإنسانية بانتسابهم إليها!؟ وهل مما يعني أمرا . أيا كانت عقيدته وشريعته . أن يبعثه هواه إلى افتراء على أمثال هؤلاء القمم البشرية.. بل وحتى على سفوحها إن عرفت الإنسانية المسلمة سفوحها منها!؟

إن عالما يحترم نفسه ووضعه بين الناس ، فيضيع عمره . القليل منه أو الكثير . فيما ليس من شأنه علما وعملا ، يمتطي من لسانه ظهر برذَوْن هجين يتخلف به حين يتقدم الفرسان على صهوات الجياد، فلا هو بالمجلي ولا هو بالمصلي... وهو يعلم . وكل انسان واع يعلم . أن القول نوع من العمل وذريعة إليه...

لماذا تتبع عورات عباد الله!؟ لماذا اختلاقها إن لم تكن!؟ إنه الهوى وهو إنه .. إنها النفوس المدساة ممن انحرفت عقولهم وضلت قلوبهم.. إنها أهواء من يهدرون طاقاتهم في الهذر والهتر.. وأبو هريرة . رغم محاولة بعض الأقزام . أن يتعلقوا بأذياله ليلوثوها.. سيظل طاهرا في منجى عن كل رجس.. لأنه خريج مدرسة النبوة، وحافظ إرث الرسالة.. وكفاه ذلك مجدا وعلوا والله وليه وولي من يتولاه..

مضامين خطبة الجمعة

■ إعداد الدكتور حدو بناصر مزيان

من المحاور التي ينبغي للخطيب التنبيه والحث عليها في خطبته ، كالنظافة والبكور والتنافس عليه والطيب، وكذلك الحث على الامتناع عن الكلام وإيذاء الناس كما ينبغي أن تتضمن خطبته ما يتعظ به الواعظ ويطهر به نفسه ويرطب به قلبه وما يشفي صدره ، ويذكره بربه ويرغبه في ثوابه ويحذره من عقابه، كما ينبغي أن تشتمل الخطبة على أصول الإسلام وقواعد الدين وما تقتضيه الأحوال والحث على كل فضيلة واجتناب كل رذيلة.

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من اغتسل يوم الجمعة ومس من طيب إن كان له وليس أحسن ثيابه ثم خرج وعليه السكينة حتى يأتي المسجد ثم يركع ما بدا له ولم يؤذ أحدا ثم أنصت إذا خرج إمامه حتى يصلي كانت كفارة لما بينهما)، وخطب الرسول صلى الله عليه وسلم الناس يوم لجمعة فراى عليهم ثياب النمار فقال: ماعلى أحدكم وجد سعة أن يتخذ ثوبين لجمعة سوى ثوبي مهنته).

والماشي إلى الجمعة له بكل خطوة أجر سنة ، صباحها وقيامها كما في الحديث الصحيح من غسل واغتسل، وبكر وابتكر ودنا من الإمام فأنصت ، كان له بكل خطوة يخطوها صيام سنة وقيامها وذلك على الله يسير، رواه أحمد وغيره.

كما يتأكد التبكير إليها، تبكير في هدوء وسكينة من أجل استجماع الفكر وتدبر الذكر والتهيء لسماع الوعظ وقبول النصح لعل الله يغفر الذنوب ويعظم الأجر، فمن هذا الذي لا تطيب نفسه في التقدم والبكور والمسارعة في الاستكثار من الأجور، ولقد قال بعض أهل العلم كانت الطرقات على عهد السلف عامرة وقت السحر وبعد الفجر بالمبكرين للجمعة، وقيل إن أول بدعة أحدثت في الإسلام ترك البكور إلى الجمعة، وإن البكور إليها لدليل شدة العناية بها، وقرب أهل الجنة يوم القيامة ، وسبقهم إلى الزيادة يوم المزيد بحسب قربهم من الإمام وتبكيرهم إلى الصلاة، ومن لطائف الأسرار في هذا المقال جانبه إليه بعض أهل العلم حيث قال: لما كان يوم الجمعة في الأسبوع كالعيد في العام، وكان العيد مشتملا على صلاة وقربان، وكان يوم الجمعة يوم صلاة، جعل الله سبحانه التكبير إلى المسجد والمسارعة بدلا من القربان كما جاء في الحديث الصحيح، «من راح في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنه، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر، فمن أحب الخير لنفسه فليتقرب إلى الله وليبادر وليجتنب التشاغل بالشواغل"، (ومن قال لصاحبه انصت فقد لغى ، ومن مس الحصى فقد لغى) وليمتنع عن إيذاء المصلين والتشويش عليهم بتخطي رقابهم أو إيذائهم بالروائح الكريهة في بدنه وملبسه ومأكله ومشربه، جاء رجل يتخطى رقاب الناس يوم الجمعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب فقال له: اجلس فقد أذيت وآنيت ، أذيت في التخطي، وآنيت تأخرت عن المسارعة والتبكير.

أما خطبة الجمعة فناهيك بها فهي عظة الواعظ ، وتطهير للنفوس وترفيق للقلوب وشفاء للصدور وتذكير بالله وترغيب في ثوابه وترهيب من عقابه، وما أنفع الكلام الطيب حسن حين تحي به القلوب ، خطب ومواعظ فيها الثناء على الله وتمجيده والشهادة له بالوحدانية ولنبيه بالرسالة والبلاغ، وتذكير للعباد بأيام الله ووصيتهم بتقوى الله سبحانه وما يقربهم إليه وإلى جناته ويباعدهم عن سخطه ونيرانه.

خطب مشتملة على أصول الإسلام وقواعد الديانة وما تقتضيه الأحوال ، وحث على الفضائل واجتناب الرذائل بما يصلح الفرد والمجتمع في العاجل والآجل.

تمجيد بالعزائم وتواصي بالمكارم، دعوات حق، وكلما صدق، أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، ما أحسن هذه المواعظ حين تخرج من قلوب صادقة ويتكب في آذان صاغية، وافئدة منشرحة تحب الناصحين وتستجيب للواعظين.

تسمع حين تسمع بقلوب واجفة، خائفة، تتلقى أوامر ربها بعزم جديد وحزم جليد، تطهر القلوب وتمحو الذنوب، تستيقظ القلوب الغافلة وتنشط الهمم الوانية، ويراجع المرء نفسه لينظر ما قدمت يداه ، هذا ما ينبغي أن تشتمل عليه خطبة الجمعة في مضامينها وعظاتها، وهذا هو المصلي الناصح لنفسه منصت لخطبة إمامه، مسغ لوعظ خطيبه، قد نفعه ربه بالإرشاد والعظات وتوجيهات الدين والدنيا، يقابل ذلك قوم غافلون متهاونون كأنهم لن يطرق آذانهم الوعيد الشديد فلم يعرفوا لهذا اليوم حقه ولم يتسفيدوا من فضله، ولم يسمعوا قول الرسول صلى الله عليه وسلم وهو قائم على منبره (لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين).

قوم ساهون لايقيمون لهذا اليوم وزنا ولا يحسبون له حسابا ، بل إن بعضهم ليتجرأ على الله فيه ويأتي من المعاصي والموبقات ويطلق لنفسه عنان الشهوات عياذا بالله من الخذلان، أهل لهو وغفلة يكيلون من الهواء بأوفى المكاييل، هؤلاء لا يتحرجون من حرام ولا يتباعدون عن باطل، ملأوا الأسواق وانتشروا في المنتزهات لا يعرفون بيوت الله ولا يشاركون المسلمين إقامة شعائر الدين من هم بجوار المساجد بيوتهم ولكنهم أبعد الناس عنها بقلوبهم.

وهناك فئة اخرى ينبغي للخطيب مخاطبتهم والانتباه إليهم، وهي فئة الكسالى، هؤلاء يأتون المساجد بفتور وملل يترقب الواحد منهم إقامة الصلاة، لا يأتي إليها مسرعا ثائر النفس والنفس، يدخل إلى الصلاة مشوش الفكر، لم يراع أدب الإسلام في دخول بيوت الله، ولم يعمل بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التزام السكينة والوقار ، فاته أجر التبكير وثواب انتظار الصلاة، أما علم هذا الكسول أن منتظر الصلاة كالمرابط في سبيل الله والملائكة تستغفر له مادام في مصلاه، اللهم اغفرله ، اللهم اغفر له؟

لايزال قوم يتأخرون حتى يؤخرهم الله، دخلوا في غياهب الغفلة وقست قلوبهم، أما يخشون أن يختم الله على قلوبهم ويطمس أبصارهم وينزع حلاوة الإيمان من قلوبهم.

ومن أصناف الغافلين من لايدعوه إلى الانصات وحسن الاستماع إلا حب الاستطلاع ليقارن بين هذا وذاك ولعله مبتلي بتتبع الزلات وعد الهفوات مما ليس من مسالك صالحي المؤمنين.

ومن مظاهر الغفلة والذل والانهزام عند بعض المسلمين إعلاؤهم لشأن أعياد الكفار وأيامهم حتى تضاءلت منزلة يوم الجمعة عندهم ، فلا يقيمون لها وزنا ولا يرفعون لها شأنا وكأنها ذيل في آخر الأسبوع ليس لها عندهم من الرؤية الشرعية ولا العرفية شيء كما يعتنون بأعياد الأمم الأخرى الأسبوعية وأعيادها، ولا حول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم.

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمين ، وإمام الغر المحجلين وعلى آله وصحبه ومن عمل بسنته واهتدى بهديه إلى يوم الدين.

صلاة التسبيح

عن (عبد الله بن عباس وأبو رافع رضي الله عنهم) أن النبي (ص) قال للعباس بن عبد المطلب: "ياعباس،ياعماه، ألا أعطيك، ألا أمنحك، ألا أجيزك، ألا أفعل بك؟عشر خصال إذا أنت فعلت ذلك غفر الله لك ذنبك: أوله وآخره، قديمه وحديثه، خطأه وعمده، صغيره وكبيره، سره وعلانيته؟ عشر خصال: أن تصلي أربع ركعات، تقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة، فإذا فرغت من القراءة في أول ركعة وأنت قائم،قلت: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر. خمس عشرة مرة. ثم تركع فتقولها وأنت راكع عشرا، ثم ترفع رأسك من الركوع فتقولها عشرا، ثم تهوي ساجدا فتقولها وأنت ساجدا عشرا، ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشرا، ثم تسجد فتقولها عشرا ثم ترفع رأسك فتقولها عشرا، فذلك خمس وسبعون في كل ركعة، تفعل ذلك في أربع ركعات إن استطعت أن تصليها في كل يوم مرة فافعل، فإن لم تفعل ففي كل جمعة، فإن لم تفعل ففي كل شهر مرة، فإن لم تفعل ففي كل سنة مرة، فإن لم تفعل ففي كل عمرك مرة" أخرجه أبو داود عن ابن عباس.

وله في أخرى عن أبي الجوزاء، حدثني رجل كانت له صحبة. يرون أنه عبد الله بن عمرو. قال: "ائتني غدا احبوك، وأثيبك، وأعطيك، حتى ظننت أنه يعطيني عطية، قال: إذا زال النهار فقم فصل أربع ركعات.. فذكر نحوه، قال: ثم ترفع رأسك. يعني: من السجود. وفي نسخة من السجدة الثانية. فاستو جالسا ولاتقم حتى تسبح عشرا،وتهلل عشرا وتحمد عشرا، وتكبر عشرا، ثم تصنع ذلك في الأربع ركعات، قال: فإنك لو كنت أعظم أهل الأرض ذنبا غفر لك بذلك، قلت: فإن لم أستطع أن أصليها تلك الساعة؟قال: صلها من الليل والنهار".

انظر جامع الأصول في أحاديث الرسول 62

مع السنة

■ إعداد الاستاذ: مصطفى أصبان

① من شمائل المصطفى (ص)

كان الرسول (ص) من حيث الخلقة جميلا في كل شيء، معتدل القامة، متوسط الطول،ليس بالطويل ولابالقصير، كثيف الشعر، عريض مابين المنكبين، أبيض اللون، مشربا بالحمرة، أكحل العينين أوعجهما، كان يعنى بنظافة جسمه وثيابه، ويحرص على حسن هندامه، وهو القائل "النظافة من الإيمان" كان حاضر البديهة، سريع الجواب في أدب ووقار، شديد الحياء، إلا في حدود الله، فإنه لايخشى في إقامتها لومة لائم.

ولاننسى أن الحبيب المصطفى (ص) يعتبر من دعاة العرب وساساتهم وحكمائهم، ذا رأي صائب وفكر ثاقب، روى ابن هشام أنه لما ظهرت العصبية الشديدة بين الأنصار والمهاجرين خاصة في غزوة المريسيع،حين قال عبد الله بن أبي بن سلول: ليخرجن الاعز منها الأذل . أمر بالارتحال، وسار في وقت الظهيرة، ولم يبرح الجيش حتى وصل إلى المدينة لكي لايترك للرجال فرصة الجدال والانقسام وهم بعيدون عن مدينتهم، بالإضافة أنه رفض ماعرضه عمر على النبي (ص) من قتل ابن سلول رأس المنافقين وهو سبب هذه الفرقة. ترفق بابنه عبد الله، إذ طلب إليه أن يأذن له بقتل أبيه إذا إراد فقال له الرسول (ص):بل نترفق به ونحسن صحبته مابقي معنا.

امتاز النبي (ص) في سلوكه برجاحة العقل وحسن السياسة، من صفاته (ص) التسامح وكان ذا نفس سمحة تحب الخير وتميل إلى العفو ويدل على ذلك عفوه عن وحشي مولى مطعم بن جبير الذي قتل حمزة بن عبد المطلب عم النبي (ص) في غزوة أحد.

اتصف النبي (ص) بالقناعة والزهد والصبر روي عن أنس (ض) قال قال (ص): "لقد أخفت في الله ومايخاف أحد، ولقد أذيت في الله ومايؤذى أحد".

وما عاب النبي (ص) طعاما قط، إن اشتهاه أكله وإلا تركه، وعن عائشة قالت: "إن كنا آل محمد (ص) نمكث شهرا ما نستوقد نارا، إن هو إلا الماء والتمر"وعن عائشة (ض) قالت: "ماخير رسول الله (ص) بين أمرين، إلا أخذ أيسرهما مالم يكن إثما" فإن كان إثما كان أبعد الناس منه.

قال ابن مسعود (ض) دخلت على الرسول (ص) وقد نام على حصير، وقد أثر في جنبه، فقلت يارسول الله، لو اتخذنا لك وطاء نجعله بينك وبين الحصير. بقيك منه فقال: مالي وللدنيا؟ وما الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها، عن أنس (ض) أن رجلا سأل النبي (ص) فأعطاه غنما بين جبلين فرجع إلى بلده، وقال، أسلموا فإن محمدا يعطي عطاء من لايخشى فاقة، وأعطى غير واحد مائة من الابل.

② ماجاء في الصوم وفضله

قيل الصوم عموم وخصوص، وخصوص الخصوص، فصوم العموم هو كف البطن والفرج وسائر الجوارح عن قصد الشهوة. وصوم الخصوص هو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام وصوم خصوص الخصوص هو صوم القلب عن الهمم الدنية وكفه عما سوى الله بالكلية، قال (ص): "زكاة الجسد الصيام" قال وكيع في قوله تعالى: "كلوا وشاربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية" أنها أيام الصوم تركوا فيها الأكل والشرب، عن أبي هريرة (ض) عن النبي (ص) أنه قال: "من أفطر يوما في رمضان من غير رخصة رخصها الله له لم يقض عنه صيام الدهر" وروى الزهري أن تسبيحة واحدة في رمضان أفضل من ألف تسبيحة في غيره.وقال (ص) :"ليس من عبد يصلي في ليلة من شهر رمضان إلا كتب الله له بكل ركعة ألفا وخمسمائة حسنة وبنى له بيتا في الجنة من ياقوتة حمراء، لها سبعون ألف باب، لكل باب منها مصراعان من ذهب، وله بكل سجدة يسجدها شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام".

قال (ص): "إن لكل صائم دعوة فإذا أراد أن تقبل، فليقل في كل ليلة عند فطره، ياواسع المغفرة اغفر لي".

ومعلوم أن للصوم رتب ثلاثة، أحدهما إيجابه بوصف التخيير، والثانية تحتمه لكن كان الصائم إذا نام قبل أن يطعم حرم عليه الطعام والشراب إلى الليلة القادمة فنسخ ذلك بالرتبة الثالثة وهي ما استقر عليها الشرع الحنيف إلى يوم القيامة.

فشهر رمضان يتميز بكثرة العبادات التي منها تلاوة القرآن والصلاة والذكر والاعتكاف والصدقة والاحسان... وللصوم تأثير عجيب في حفظ الجوارح الظاهرة وتهذيبها، فهو يحفظ القلب ويقويه ويجعل الحواس والجوارح سليمة لذا كان الصوم من أكبر العون على التقوى "لعلكم تتقون" ومن المسلم به أن فوائد الصوم جمة ومشهودة بالعقول السليمة والفطر المستقيمة شرعه الله لعباده رحمة لهم وإحسانا إليهم.

تأملات و خواطر

محمد الخضر الريسوني

الصهاينة يحالفون الأقوى فهل التاريخ يعيد نفسه؟

في متابعتي للأخبار والمشاهدات الدامية وأعمال القتل والإبادة التي يرتكبها الصهاينة في حق شعب أعزل لا سلاح له ولا طائرة أو مدفعا، سلاحه روحه التي يجود بها. من خلال هذا العدوان رجعت إلى مصادر التوراة المزيفة وقراتها بإمعان وتدبر فاكتشفت أنها تمجد القوة وتهتم بالحروب ، وتأتي على أعداد القتلى والأسرى والحيوانات ، وتطفح بإحراق المدن بما فيها من إنسان وحيوان وردم عيون الماء وتجريف الأشجار والنباتات. وفي كتبهم الأسطورية يذكرون أن فلانا نفخ على مدينة فطارت في الهواء بكل ما فيها، وأن قائدا لسليمان رفع سيفه فمات على الفور سبعون ألف مقاتل.

وقد عثر منذ سنوات قليلة في منطقة أريحا على البحر الميت على مخطوط عنوانه « حرب أبناء النور ضد أبناء الظلام» وفيها يشن سبط يهودا وبنيامين ومعهما الكهنة والأحبار حرب إبادة على جميع الشعوب الفلسطينية ومن جاورهم في القرن الأول قبل الميلاد، ويطلق الصهاينة على أنفسهم أبناء النور وعلى أعدائهم أبناء الظلام. في هذا المخطوط جاء وصف الكتائب الصهيونية المتكونة من الفرسان والمقاتلين، وقد اصطفوا واستعدوا بخيلهم ورماحهم ودروعهم وكامل عدتهم وقد رفرفت عليهم رايات نقش عليها " شعار النصر" أما جيش الظلام والشيطان فماهم إلا شراذم رثة الهيئة كثيرة اللغط تسودها الفوضى، وهي متخاذلة خائفة يسودها الجبن ولا تفكر إلا في الهزيمة.

ومن عادات الصهاينة عبر التاريخ أنهم دائما يحالفون الأقوى كما هو حاصل اليوم ، وحين برز المسلمون قوة عالمية سارعوا للتحالف معهم وكسب ودهم.

يقول عالمهم " إسرائيل ولفنسون» كانت الضرورة الطبيعية لنجاح مشروعات المسلمين ، تقتضي حتما وقوع عراك شديد بين الطرفين. المسلمين واليهود . ومن أجل ذلك تغيرت الحالة تغيرا جوهريا ، بعد أن انتهت الخصومة بين الرسول وبطون يثرب ، حتى شرع اليهود ينظرون بعيون الإكبار والاحترام إلى جيوش المسلمين التي كانت تغمر كالسيل أقطار العالم ونواحيه، وقد كان اليهود في أغلب مدن العراق يخرجون لاستقبال جيوش المسلمين بالحفاوة والإكرام ، لأنهم يؤثرونهم على غيرهم إذ يرون فيهم قوما يؤمنون بإله موسى وإبراهيم ، ولقد ازدادت هذه الروابط متانة مع الزمن ، حتى دخل اليهود في جيوش المسلمين ليقاتلوا معهم في أقاليم الأندلس.

والفاتحون المسلمون هم الذين أنقذوا آلافا من اليهود الذين كانوا منتشرين في أقاليم الدولة الرومية، بعد أن كانوا يقاسون ألوانا شتى من العذاب.

لكن عندما أفل نجم المسلمين، راحوا يتجسسون عليهم لمصلحة الاستعمار ، بل راحوا يغرونه بالغزو، ويوم سطع نجم زعيم التتار" هولاكو" كاتبه يهود بغداد وحالفوه وقدموا له المال والمشورة قبل احتلال بغداد وقتله الخليفة ومليونا من المسلمين ، بينما لم يقتل أي واحد منهم ، وهاهو ذا التاريخ يعيد نفسه وهاهم اليوم يحالفون الأقوى مرة أخرى...

انحرافات عن أسس العقيدة الإسلامية في بعض أبيات المديح النبوي ومدح بعض الأولياء

■ إعداد : الأستاذ مَحمد الامراني

الحمد لله الذي جعل طاعة الله ، واتباع سنته من مظاهر محبته ورضاه والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث للناس كافة شاهدا ومبشرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، وعلى آله وأصحابه الذين اتبعوا سنته وطبقوا شريعته، وكان الله ورسوله أحب إليهم مما سواهما ، وبعد.

فقد قال الله تعالى في سورة التوبة: قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيل الله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لايهدي القوم الفاسقين، الآية :24. قال القرطبي : الآية دليل على وجوب حب الله ورسوله، ولاخلاف في ذلك بين الأمة، وان ذلك مقدم على كل محبوب ، وقوله تعالى : فتربصوا، صيغته صيغة أمر، ومعناه التهديد ، يقول انتظروا، حتى يأتي الله بأمره، يعني بالقتال وفتح مكة ، أو بعقوبة آجلة أو عاجلة ، وفي قوله: : وجهاد في سبيله، دليل على فضل الجهاد وإيثاره على راحة النفس وعلائقها بالأهل والمال.هـ.

وقال القاضي عياض في كتابه « الشفا ... ج2 ص:18 » كفى بهذا حظا وتنبيها ودلالة وحجة على الزام محبة النبي صلى الله عليه وسلم ووجوب فرضها واستحقاقه لها صلى الله عليه وسلم، اذ قرّع تعالى من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله ، وأوعدهم بقوله: فتربصوا حتى يأتي الله بأمره، ثم فسقهم بتمام الآية وأعلمهم أنهم ممن ضل ولم يهده الله » هـ ، وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « لايومن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين، وسئل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: كان والله . أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ.

وقد عبر السلف الصالح رضي الله عنهم عن محبتهم الصادقة للنبي صلى الله عليه وسلم بواسطة الأشعار منذ فجر الإسلام مثل قصائد كعب بن زهير، وحسان بن ثابت، ودلائل هذه المحبة الصادقة مذكورة في كتب التاريخ، وليس هذا البحث المتواضع مجالا لإثباتها.

هذا وقد ازدهرت الأمداح النبوية في العصر المريني، يقول الأستاذ الباحث الحسن شاهدي في مجلة: دعوة الحق، عدد: 345 السنة 40 بتاريخ ربيع الأول 1420هـ يوليوز 1999 م نقلا عن المرحوم محمد بن تاويت والمرحوم محمد المنوني وزكي مبارك والأستاذ الجراري ممزوجا.

« إذا قلنا أن القرن السابع عصر الأمداح النبوية والنعال الشريفة والمولديات، فإن هذا صادق إلى أقصى ما يكون الصدق ، ذلك لأن النبويات لم يقدر لها الانتشار والذيوع إلا في ظل التصوف مشرقا ومغربا ، ومن هنا كان من الطبيعي استئثارها بشعر الفترة المرينية ، إذ تكاد الأغراض الأخرى تختفي أمام الاهتمام بالنبويات للإقبال عليها من لدن الخاصة والعامة على السواء، فلا نستغرب ندرة الأشعار التي لا تتلاءم وهذه البيئة الروحية كالهزليات والخمريات والمجون ، فمثل هذه الأغراض لا تنسجم مع مكونات البيئة المرينية: بيئة الزوايا والرباط والطرق الصوفية، . ثم قال الباحث ص116.

« سبقت الإشارة إلى أن العصر المريني هو عصر المديح النبوي بامتياز، فالشعراء كانوا يهتبلون الفرص المتاحة لإظهار شدة التعلق بالرسلة الإسلامية والرسول الذي بلغها ، متغنين بصفاته الحميدة الخلقية والخلقية، آملين في الشفاعة والتغيير، لذلك كان هذا الشعر الأكثر سريانا على الألسنة وفي المجالس والسماع».

وقد استدل الباحث المذكور على ازدهار المديح النبوي في العصر المريني لمجموعة كبيرة من أعلام هذا الفن الشعري الرفيع، وعلى رأسهم ثلاثة من أعلام إقليم تازة وهم:

1. ابراهيم التازي الشاعر الصوفي.
2. عبد الرحمان بن علي بن صالح المكودي.
3. ابن يجبش التازي الشاعر الصوفي.

إلا أن ازدهار المديح النبوي بالنسبة لتازة لم يكن في العصر المريني فقط، بل كذلك في العصر العلوي ، فقد اطلعت . في الخزانة الحسنية وخزانة تطوان . على شاعرين تازيين ينتميان إلى العصر العلوي ، ساهما في ازدهار المديح النبوي وهما:

1. أحمد بن فتوح التازي الشاعر الصوفي وجدت له قصيدتين في المديح النبوي .
2. أحمد الحبيب اليعقوبي الرشدي وجدت له ثلاث قصائد في المديح النبوي.

وبذلك بلغ عدد الشعراء الذين ساهموا في ازدهار المديح النبوي لحد الآن خمسة، وكلهم ينتمون إلى إقليم تازة.

واثناء قراءتي لهذه المدائح النبوية، وجدت في بعض أبياتها مبالغات غير مقبولة شرعا وعقلا ، لأنها تتنافى مع أسس العقيدة الإسلامية الصحيحة.

وقبل إعطاء نماذج من هذه المبالغات ، ينبغي أن أشير. ولو بصفة مختصرة إلى ما قاله المرحوم سيد قطب في كتابه القيم«العدالة الاجتماعية في الإسلام» في باب التحرر الوجداني، لأن ذلك يساعدنا على التعليق على تلك الأبيات ، قال رحمه الله :ص : 37.

«لقد بدأ الإسلام بتحرير الوجدان البشري من عبادة أحد غير الله، ومن الخضوع لأحد غير الله فما لأحد عليه غير الله من سلطان وما من أحد يميته أو يحييه إلا الله وما من أحد يملك له ضرا ولا نفعا. وما من أحد يرزقه من شيء في الأرض ولا في السماء، وليس بينه وبين الله وسيط ولاشفيع ، والله وحده هو الذي يستطيع، والكل سواء عبيد ، لايملكون لأنفسهم ولا لغيرهم شيئا، «قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا أحد» آية:1 من سورة الإخلاص، وإذا توحد الله توحدت عبادته ، واتجه الجميع إليه، فلا عبادة لسواه، ولايكون لأحد منهم فضل على أحد إلا بعلمه وتقواه «قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله» آية 64 من سورة آل عمران. ويحرص الإسلام على هذا المعنى حرصا شديدا فيتكي عليه القرآن في مناسبات شتى، ولما كان الأنبياءهم مظنة أن يتجه إليهم الناس بشيء من العبادة، أو مافي معناها على وجه من الوجوه ، فقد عني الإسلام بتحرير وجدان البشرية من هذه الناحية تحريرا كاملا، يقول عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم » آية 144/من سورة آل عمران ، ويخاطب هذا النبي في صراحة قوية « ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم» آية 128 من سورة «آل عمران » كما يخاطبه في موضع آخر بقوله» ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا إذن لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا» آية : 74. 75 من سورة الإسراء» ويأمره أن يجهر بحقيقة موقفه جهرا : « قل إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحدا قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا» آية :20. 22 من سورة الجن» .

ويتحدث عمن ألّهوا عيسى بن مريم، فيصمهم بالكفر والسخف» لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئا أن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا» الآية 17 سورة المائدة ، ثم أضاف قائلا:

وهكذا يستمر القرآن في توكيد هذه العقيدة وتثبيتها وتوضيحها ، ليصل إلى تحرير الوجدان البشري من كل شبهة شرك في الوهية أو قداسة قد تضغط هذا الوجدان وتخضعه لمخلوق من عباد الله إن يكن نبيا أو رسولا، فإنه عبد من عباده لا إله.

فإذا انتفى أن يكون عبد بذاته أميز عند الله من عبد بذاته، انتفت الوسائط بين الله وعباده جميعا، فلا كهانة ولا وساطة، بل يتصل كل فرد صلة مباشرة بخالقه، يتصل شخصه الضعيف الفاني بقوة الأزل، والأبد يستمد منها القوة والعزة والشجاعة ، ويشعر برحمتها وعنايتها وعطفها فيشتد إيمانه وتقوى معنويته.

والإسلام حريص كل الحرص على تقوية هذه الصلة ، وإشعار الفرد انه يملك الاستعانة بتلك القوة الكبرى آناء الليل وأطراف النهار، وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان فليستجيبوا لي وليومنوا بي لعلهم يرشدون.» الآية :86 سورة البقرة »

وبالرغم من وضوح هذه الآيات الدالة على تثبيت أسس العقائد الإسلامية الصافية ، فإنني أتساءل: كيف غابت هذه الأسس السليمة عن عقول بعض المتصوفة فيها بصفات الألوهية والربوبية، وهي صفات فيها مبالغات غير مقبولة شرعا وعقلا.

ولم تقتصر هذه المبالغات على الرسول صلى الله عليه وسلم ، بل تعدتها إلى وصف بعض الأولياء بصفات الألوهية وقدرهم على التصرف كما سأشير إليه أخيرا.

وإلى القارئ نماذج من هذه المبالغات أولا في المديح النبوي.

ثانيا في مدح بعض الأولياء

ثالثا : ادعاء بعض الشيوخ المتصوفة قدرتهم الخارقة على إغاثة مريدهم أينما كان؟

ويقول أبو العباس احمد الحبيب اليعقوبي الرشدي في قصيدة يمدح فيها النبي صلى الله عليه وسلم:

ياسيدي حسن ظني فيك أطمعني
أنا أرد وأنت خير ملتحد

يقال: التحد أي التجأ، وفي البيت مبالغة واضحة ، إذ كيف يكون الرسول صلى الله عليه وسلم خير ملجأ هكذا بصيغة اسم التفضيل والله تبارك وتعالى خاطبه أولا في سورة الكهف بقوله» واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك لامبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا، الآية:27. قال القرطبي : قيل هو من تمام قصة أهل الكهف ، أي اتبع القرآن فلا مبدل لكلمات الله ولا خلف فيما أخبر به من قصة أصحاب الكهف، وقال الطبري: لامغير لما أوعد بكلماته أهل معاصيه والمخالفين لكتابه»ولن تجد، أنت ، من دونه، إن لم تتبع القرآن وخالفته «ملتحدا، أي ملجأ وقيل موئلا. كما أمره ثانيا في سورة ، الجن بقوله » قل إنما ادعو ربي ولا أشرك به أحدا، وسبب نزولها . كما قال القرطبي» إن كفار قريش قالوا له: إنك جئت بأمر عظيم وقد عاديت الناس كلهم فارجع عن هذا فنحن نجيرك فنزلت ، وقال الله تعالى » قل اني لا أملك لكم ضرا ولا رشدا، أي لا أقدر أن أدفع عنكم ضرا ولا أسوق لكم خيرا، وإنما على التبليغ ، وقال تعالى: «قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا، أي لا يدفع عذابه عني أحد إن استحفظته، وهذا لأنهم قالوا: اترك ما تدعو إليه ونحن نجيرك، وتحمل الآية معنيين:

أحدهما : لن يجيرني مع إجارة الله لي أحد.

الثاني : لن يجيرني مما قدره الله تعالى علي أحد،ولن أجد من دونه ملتحدا، أي ملتجا ألجأ اليه قال الشاعر:

يالهف نفسي ولهفي غير مجدية
عني وما من قضاء الله ملتحدا،

(تابع ص: 10)

إسناد الكائنات هل هي للذات أم للصفات

للإمام حجة الاسلام سيدي عبد الله بن محمد الهبطي

وسئل الشيخ الإمام حجة الإسلام الوالي الصالح العالم الناصح العارف الرباني سيدي عبد الله بن محمد الهبطي رحمه الله تعالى عن إسناد الكائنات هل هو للذات أو للصفات، والسائل هو ولي الله تعالى سيدي علي بن محمد المدراستي، وكان السائل إذ ذاك بفاس يطلب العلم بعد رجوعه من بلاد المشرق وأخذه عن الشيخ الهبطي إذ هو من تلامذته.

فأجاب بما نصه: بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على سيدنا محمد الكريم وعلى آله وأصحابه أفضل الصلاة والتسليم ، حبيبنا في الله وعلى طاعته ، أخانا وقرة عيننا سيدي علي بن محمد بن عبد الله، سلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد، أذاقك الله لذيذ المناجاة على بساط المصافاة، قد وصلنا كتابك وفهمنا منه خطابك، وطلبت مني جواب مسألة أنا أحوج منك إلى الجواب عنها، لكن يانعم الحبيب نسأل الله تعالى الفتاح أن يفتح علينا وعليك بعلمها، وبما يقربنا إليه من علم وعمل بجاه مولانا محمد أمين يارب العالمين، اعلم ياأخي أن استناذ الكائنات إلى ذات مكونها أو إلى صفاته إذا اعتبرنا في ذلك الحقيقة والمجاز عند السبر والتقسيم لا يخلو من أربعة أقسام، القسم الأول: أن يكون إسنادها حقيقة إلى الذات، وكذلك إلى الصفات، الثاني : أن يكون إسنادها مجازا إلى الذات، وكذلك إلى الصفات ، الثالث: أن يكون إسنادها مجازا إلى الذات حقيقة إلى الصفات ، الرابع: عكسه أن يكون إسنادها حقيقة إلى الذات مجازا إلى الصفات . ومما يبطل به عكس القسم الأول دليل التمانع اللازم بين كل فاعلين كيف ماكانا، والثاني: يبطل من حيث أنه يؤدي إلى استحالة إسنادها إلى فاعل حقيقة إذ لا موجد سوى الذات والصفات ، وقد قدر إسنادها إليه مجازا، والثالث : يبطل من حيث استحالة قيام الصفات المشترطة في وقوع الفعل بالصفات ، فإذا بطلت الأقسام الثلاثة، تعين الرابع وهو إسناد الكائنات إلى ذات مكونها حقيقة وإلى صفاتها مجازا ، ولا يقضي الحدس والنظر غير هذا حتى صار إدراك الذات بالصفات حجة على منع الحال، فإذا تقرر هذا وفهم وسلم فلابد للمجاز من شبه بالحقيقة يراعيه العقل وهو هنا تلبس الصفات بمتعلقاتها على جهة يكون موصوفها هو المكون بها بتلبس الذات المؤثرة بالصفات ، ويزيد ذلك بيانا أن الذات حقيقة واحدة ومفعولاتها حقائق مختلفة، والصفات وسائط بين الحقيقة الواحدة والمفعولات المختلفة ولو أسندت المفعولات المختلفة إلى الذات الواحدة للزم الوسائط لاستحالة تأثير حقيقة واحدة بنفسها في حقائق مختلفة، وكذلك لابد من قرينة صارفة للمجاز عن حقيقة لفظه وإلى ما يؤول به، وهي هنا استحالة قيام المعنى بالمعنى اللازم من كون الصفة فاعلة حقيقة وكذلك لابد لإسناد المجاز من معرفة حقيقته وهي هنا الإسناد إلى الذات بالصفات ، فإذا قلت مثلا قدرة الله خلقت الكائنات بأسرها، كان التأويل ، والله خلق الكائنات بأسرها بقدرته سبحانه وتعالى، واعلم أن الجمع بين الشاهد والغائب يكون بأحد سبعة أشياء وهي : العلة والحقيقة والشرط والدليل والمستحيل والجائز والتسمية الوضعية، فإذا حد الفاعل الحقيقي في الشاهد بحدوده وتحقق بحقيقته وجب طرده غائبا لاستحالة انقلاب الحقائق وكذلك كل ما وجب له من الشروط شاهدا وجب طردها غائبا لاستحالة وجود المشروط دون شرط وكذلك سائر الجوامع كلما وجب منها للفاعل شاهدا وجب طردها غائبا، ومن الحقيقة العقلية إسناد الفعل لذات زيد إن كان هذا الملابس له بنفسه عند كافة العقلاء، ومما انفرد به الموحدون من أن الله هو المنفرد بالتكوين وحده لاشريك له بتخصيص وكيف لا والمعتزلة وعلماء المسلمين وقفوا مع ظاهر العقل، وشبهة ورود الإيجاد الذاتي على هذا التقدير مندفعة بوجود ثبوت صفة الاختيار لذات المكون جل ذكره بل كان يلزم عند إسناد الكائنات إلى الصفات حقيقة ، استحالة قيام الصفات المشترطة في العقل بالصفات، فتأمل ذلك بل تأمل جميع ما سطرناه في هذا المكتوب مع أخينا سيدي محمد اليستشني، وما جرى على خلاف الصواب اعلماني بذلك، وليس هذا مني فتوى بل مشورة فيما ظهر لي، والمشاور مؤتمن، وكتب عبد الله بن محمد الهبطي لطف الله بالجميع.

■ **انظر في: كتاب النوازل لأبي الحسن العلمي ج 3 ص 214.**

(تتمة ص:9)

ويقول ابراهيم التازي الشاعر الصوفي في قصيدة اشتملت على وصايا مفيدة وحكم بليغة:

وليس للعبد دون الله ملتحدا ❖❖❖ وليس يملك ضرا لا ، ولارشدا

ويقول في بيت آخر من هذه القصيدة:

دعوته لذنوبي واستجرت به ❖❖❖منها ومن كل ذي بغي وذي حسد

في الشطر الأول من هذا البيت يقول : دعوت النبي صلى الله عليه وسلم لذنوبي، والدعاء . كما هو معلوم . عبادة، بل هو مخ العبادة كما ورد في الحديث المشهور، والقرآن يقول « ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذن من الظالمين، وفي آية أخرى يقول الله تعالى « والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله...، وهذه الآية تتحدث عن صفات المتقين، إذن هذه مبالغة غير مقبولة شرعا، ويقول في الشطر الثاني: واستجرت بالنبي صلى الله عليه وسلم من ذنوبي ؟ أي يستغيث به والتجأت إليه، والاستجارة بفلان الاستغاثة به والالتجاء إليه ، واستجاره من فلان طلب منه أن يجيره ويعيذه منه، والاستعاذة مصدر قولك: استعاذ يستعيذ استعاذة ، مثل: استأجر يستأجر استجارة ، واستفعل هنا للطلب ومعناه: اللجأ و الاستجارة والاعتصام بالله تعالى كما ورد في القرآن الكريم : « فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم، أي أستجير بالله من الشيطان الرجيم أن يضرني في ديني أو دنياي أو يصدني عن فعل ما أمرت به فإن الشيطان لا يكفه عن الانسان إلا الله تعالى، والاستعاذة هي الالتجاء إلى الله تعالى من شر كل ذي شر.

إذا تقرر هذا فكيف يصح أن يستعاذ بالنبي صلى الله عليه وسلم من ذنوب العبد؟ وقد روى البخاري عن شداد بن أوس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « سيد الاستغفار أن تقول : اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفرلي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت».

أما وفي الشطر الثاني فإن الشاعر يستجير بالنبي صلى الله عليه وسلم من كل صاحب ظلم وصاحب حسد ، وهذه أيضا مبالغة غير مقبولة شرعا، فقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يتعوذ من جميع الشرور فقال « قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق، وجعل خاتمة ذلك الحسد ، تنبيها على كثرة ضرره، ومن شر حاسد إذا حسد، والحاسد عدو نعمة الله ، والمعوذتان مع سورة الإخلاص، كان النبي صلى الله عليه وسلم يتعوذ بهن، والأمر بالتعوذ بهذه السور الثلاث تشريع له صلى الله عليه وسلم ولأمته كما هو معلوم، وإذ لا يصح أن يتعوذ المومن بالنبي صلى الله عليه وسلم ، من شرور الخلق كالظلم والحسد وغيرهما، إذ لا يكون ذلك إلا لله وحده، القادر على جلب النفع ودفع الضر، ثم يقول شاعرنا في بيت آخر:

ولا ترد يدي صفرا بما كسبت ❖❖❖ فأنت أكرم مرجو ومستند

يقال : فلان صفر اليد أي ليس في يده شيء، وكسب الإثم تحمله قال الله تعالى: « بلى من كسب سيئه وأحاطت به خطيآته...» ومن المعلوم أن المؤمن حينما يكسب خطيئته يتوجه إلى الله ويدعوه . تضرعا وخفية . راجيا وهو رافع يديه ألا يردهما خائبيتين كما ورد في الحديث المشهور « إن الله تعالى حيي كريم يستحيي إذا رفع الرجل يديه يسأله فيهما خيرا أن يردهما خائبتين».

وفي الشطر الثاني يخاطب شاعرنا الصوفي الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: « فأنت أكرم مرجو ومستند، كيف يستقيم هذا القول مع ما روي عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو في الموت فقال» كيف تجدك ،؟ قال : أرجو الله يارسول الله وإني أخاف ذنوبي ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وأمنه مما يخاف» رواه الترمذي.

وفي قصيدة أخرى يقول شاعرنا

أنت عين الرحمة العظمى فما❖❖❖ خاب من ناداك ياخير الأنام

ياولي لك أشكو ما أنا ❖❖❖ فيه من شرور وخطايا العظام

هل يعقل . شرعا . أن يوجه المؤمن الشكوى من شروره وخطاياه الكبيرة إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، بينما جاء القرآن الكريم على لسان سيدنا يعقوب عليه السلام» قال إنما أشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لاتعلمون، الآية: 86 سورة ، يوسف، فقوله : « بثي » أي همي وقيل : أشد الحزن ، وأعلم من الله مالا تعلمون، أي أعلم من إجابة دعاء المضطرين ما لا تعلمون ، وكيف يستقيم معنى هذا البيت، وما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه دعا بهذا الدعاء» اللهم إليك اشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس ياأرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين وأنت ربي... » إلى آخر الدعاء.

وينبغي التذكير أن تقديم الجار والمجرور على الفعل يفيد الحصر أي لا أشكو ضعف قوتي إلا إليك يارب ، كما ينبغي التذكير أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو قدوة حسنة للمؤمنين كما جاء في القرآن المبين « لقد كان لكم في رسول الله إسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا».

يقول الشاعر بعد هذا البيت:

فأقل عبدا عصا من جرمه	وأغثني قبل إدراك الحمام
يارسول الله إني خائف	مستغيث بك فامنن بسلام
وارض عني بالذي أتاك من	رتب التقريب ملكا لايرام
وأغثني بالذي أملته	واقض لي من سره كل م رام

هذه الأبيات الأربعة المتضمنة استغاثة الشاعر بالنبي صلى الله عليه وسلم ، أرجئ مناقشة هذه الاستغاثة إلى مناقشة ما ادعاه الشيخ عبد القادر الجيلاني في قصيدة له حين قال:

مريدي إذا ما كان شرقا ومغربا❖❖❖أغثه إذا ما كان في أي بلدة

(يتبع)

شهر الصيام منحة ربانية لأمة الإسلام

إعداد الأستاذ: ابراهيم امونن

لاغرو أن المتأمل في فرائض الإسلام من صلاة وزكاة وحج وصيام.. والمدقق للنظر في باقي التكاليف والأحكام، ليلحظ بعين العادل المنصف للحق مدى رفق الله تعالى بأمة سيدنا محمد(ص) ورحمته بها وهو الرؤوف الرحيم. قال تعالى : (هو اجتباكم وماجعل عليكم في الدين من حرج)(1) وقال تعالى أيضا:(مايريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون)(2).

وإذا كان من المعلوم أن حكمة الله تعالى قد اقتضت تفضيل بعض الناس على البعض ورفع بعضهم على بعض كما صرح بذلك في كتابه الكريم حين قال: (والله فضل بعضكم على بعض في الرزق) (3) وقوله تعالى :(ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات)(4) بل فضل بعض الأنبياء على بعض. وهو من المصطفين الأخيار على جملة البشر. بنص قوله تعالى: (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض)(5)، وكذلك بالنسبة للأمكنة والأزمنة.. إذا كان ذلك كذلك فإنه سبحانه قد اختص الصيام بأفضلية ومميزات (6) وجعل شهر رمضان. على الخصوص. بنفحاته وفيوضاته منحة إلهية منه جل وعلا، لهذه الأمة أهل ملة الإسلام، وهي خيرأمة أخرجت للناس لاتمارها بأداء الشهادة على باقي الأنام.

ولعل من مظاهر هذه المنحة الربانية نزول القرآن في شهر رمضان المعظم بدليل قوله تعالى: (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان)(7). فما كان لله تعالى. وهو أعلم بمراده. أن ينزل هذا القرآن الذي عليه قوام الحياة الأولى والأخرة في هذا الشهر الكريم بالذات لولا سمو مكانة شهر رمضان وقدره وجلاله وفضله عنده سبحانه، وفي الحديث الصحيح عن أبي هريرة (ض) عن النبي (ص) قال : قال الله تعالى: (كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به)(8).

فإسناد الصيام إلى الله تعالى بنفسه دون سائر الأعمال بعد تكليف المسلمين بأداء هذه الفريضة أداء لواجب العبادة والطاعة فيه لدليل على مايحصل من حسن النية وصدق العزم، ويتحقق من فيض الخير والثواب في أداء هذه الشعيرة، فضلا عما ينجلي من أثرها على قلب المومن وسلوكه.

ومما يؤكد، أيضا، على كون هذا الشهر المبارك منحة ربانية لنا ماورد في البيان النبوي فيما رواه أبو هريرة (ض) أن النبي (ص) قال لما حضر رمضان:(9).

أيها الناس.. قد جاءكم شهر مبارك افترض الله عليكم صيامه تفتح فيه أبواب الجنة، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه الشياطين، فيه ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم الخير كله، فليس من اليسير. إذن. أو لمجرد حلول شهر رمضان أن يقع فتح أبواب الجنان، وتغلق أبواب النيران، وسلسلة الشياطين، لولا لطف الله ورحمته وفضله، نظرا لما يصدر عنا من الذنوب والمعاصي والأثام.

بل زيادة على هذا القدر فقد جعل الله بمشيئته ومنته صيام رمضان وقيامه إيمانا واحتسابا موجبا للرحمة ومغفرة للذنوب: ونعم الجزاء في الدنيا والأخرة.

فقد روى الإمام النسائي وأحمد عن النضر بن شيبان قال: قلت لأبي سلمة بن عبد الرحمان حدثني بشيء سمعته من أبيك وسمعه أبوك من النبي (ص) عن شهر رمضان، فقال: نعم، حدثني أبي قال: قال رسول الله (ص): "إن الله تبارك وتعالى فرض صيام رمضان عليكم وسننت لكم قيامه(10) فمن صامه وقامه إيمانا واحتسابا (11) خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه)(12)

ومما يزيدنا يقينا وايمانا بفضل الله علينا في هذا الشهر وتكرمه علينا بجلائل الأعمال ووافر الجزاء ماجاء من جوامع الكلم على لسان مولانا رسول الله (ص) بلفظه الصريح البين الواضح حين قال عليه الصلاة والسلام:

(أعطيت أمتي في شهر رمضان خمسا لم يعطهن نبي قلبي:

أما واحدة: فإنه إذا كان أول ليلة من شهر رمضان ينظر الله عز وجل إليهم، ومن نظر الله تعالى إليه لم يعذبه أبدا.

وأما الثانية: فإن خلوف أفواههم(13) حين يمسون أطيب عند الله من ريح المسك.

وأما الثالثة: فإن الملائكة تستغفر لهم في كل ليلة.

وأما الرابعة: فإن الله عز وجل يأمر جنته فيقول لها: اسعدي وتزيني لعبادي، أوشك أن يستريحوا من تعب الدنيا إلى داري وكرامتي.

وأما الخامسة: فإنه إذا كان آخر ليلة غفر الله لهم جميعا، فقال رجل من القوم: أهي ليلة القدر؟ يارسول الله؟ فقال: لا . ألم تر إلى العمال يعملون، فإذا فرغوا من أعمالهم وفوا أجورهم)(14).

ولما كانت المنحة. عادة. مما يغري الممنوح بحب المانح والتقرب إليه واحترامه ومعاملته بالحسنى، والحرص على المنحة أولا بالدرجة الأولى، وهذا حال الصيام عامة وشهر رمضان خاصة بوصفه منحة إلهية. كما رأينا. فلزمنا أولا المحافظة على منحة شهر رمضان. وهي منحة ربانية وليست بشرية. وذلك بحسن استعمالها وتدبير أمرها وصرفها فيما يليق بمقامها وفضلها وحرمتها، من لزوم الطاعات والإكثار من القربات (15) وكذا اجتناب المعاصي والموبقات(×)، انسجاما مع مطلب الله تعالى عقب الدعاء، والرغبة في الإجابة (فليستجيبوا لي وليومنوا بي لعلهم يرشدون)(16).

ولربما من أجل هذا كله ما كان الله عز وجل ليغفل الإشارة إلى أهمية الصوم وحث النفوس عليه، على الرغم من تنكيره لبعض الأعذار المبيحة للإفطار. فقال تعالى:(وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون)(17)، ومثله ماورد عن النبي (ص) حين قال: (لو تعلم الأمة ما في رمضان من الخير لتمنت أن تكون السنة كلها رمضان)(18) وهذا حتى لايحرم الناس من خيرات هذا الشهر ونفحاته، مصداقا لقول الرسول عليه الصلاة والسلام أيضا:

(إن لله في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها، فلعل أحدكم تصيبه نفحة فلا يشقى بعدها أبدا)(19).

الهوامش:

1. سورة الحج/الأية:76.
2. سورة المائدة/الأية:7.
3. سورة النحل/الأية:71.
5. سورة الزخرف/الأية:31.
6. عن أبي سعيد الخدري (ض) قال: قال رسول الله (ص) : "ما من عبد يصوم يوما في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه من النار سبعين خريفا" حديث أخرجه البخاري في الجهاد والسير، ومسلم في الصيام.
7. سورة البقرة/الأية:184.
8. حديث متفق عليه. انظر باب الصيام.
9. مقتطف من نص الخطبة الشهيرة التي افتتح بها مولانا رسول الله (ص) رمضان /كتب السنة.
10. قيامه المقصود به قيام صلاة التراويح.
11. احتسابا: قصد وجه الله تعالى ابتغاء مرضاته.
12. رواه الإمام أحمد في مسنده.
13. الخلوف: الرائحة التي تطرأ على الفم بسبب الصوم.
14. رواه الإمام أحمد في سننه.
15. جميع أنواع الخير والبر كالصدقة وقراءة القرآن وقيام الليل ونحوها.
16. سورة البقرة/الأية:185.
17. سورة البقرة/الأية:183.
18. رواه البيهقي في سننه.
19. رواه الإمام أحمد في مسنده.

(×) الموبقات: الكبائر من الذنوب (القتل. الزنا. شهادة الزور. عقوق الوالدين. الشرك...).

ميثاق
الرابطة
صحيفة أسبوعية جامعة
العدد 1002
السنة 35
الجمعة 1 شوال 1423 هـ
الموافق 6 دجنبر 2002 م

المدير المسؤول:
الأمين العام بالنيابة
الشيخ ماء العينين لاراباس

مدير النشر:
إدريس كرم

رئيس التحرير:
محمد الخضر الريسوني

التحرير:
محمد القاضي
مصطفى ودادي

الثمن:3 دراهم
رقم الإيداع القانوني: 1994/160
الترقيم الدولي:ISSN: 4348

عنوان البريد الالكتروني:
rabitat @iam.net-ma
موقع الانترنيت
www.rabitat. ma

الاشتراكات السنوية
داخل المغرب: مائة وخمسون درهما

الحساب البنكي:25201015549.01
وكالة بنك الوفاء-حي أكدال -الرباط

التصفيف والإخراج الفني:
ميثاق الرابطة
العنوان:107- شارع فال ولد عمير.
رقم 7- أكدال - الرباط
الهاتف: 51 03 67 037
الفاكس: 93 45 67 037
السحب:
مطبعة نداكوم - الرباط- المغرب.

ترتيب المواد لا يخضع إلا للمقتضيات الصحافية والتقنية

المغزى الإنساني والاجتماعي في عيد الفطر

■ إعداد الاستاذ: العربي الغساسي

إن الأعياد سنة فطرية، طبعت عليها النفوس، وجبل عليها الناس، وعرفوها منذ أن عرفوا الاجماع، والعادات والتقاليد.

فلقد كان للأمم القديمة أعياد قومية ومواسم اجتماعية، واحتفالات دينية، تعتز فيها بعاداتها وتقاليدها، وتتخذها مجالا لإعلان بهجتها وسرورها وتكون لأيام تلك الأعياد حرماتها المرعية، وقداستها المفروضة، حتى توائم تلك الاحتفالات، الطقوس العقائدية، والمنافع المادية، والفوائد الأدبية لها.

ويكاد يكون ذلك نسبه عام في تاريخ الأمم ، التي احتفل التاريخ بماضيها، مع الفوارق التي تقتضيها البيئة، وتحتمها العادات، وتوجهها التقاليد.

وبمقتضى ذلك، وجد رسول الإنسانية سيدنا محمد (ص) أهل المدينة،حينما هاجر إليها، يحتفلون بيومين، قد ورثوا اتخاذهما من آبائهم في الجاهلية، فقال عليه الصلاة والسلام، ماهذان اليومان؟فقالوا كنا نلعب فيهما في الجاهلية. فقال الرسول (ص) "قد أبدلكم الله تعالى بهما خيرا منهما "يوم الفطر ويوم الأضحى"

وإن من شأن الإسلام في دعوته، ألا ينكر مرة واحدة، مايجده من تقاليد وعادات، وألا يبقيه كذلك مرة واحدة، بل جعل طريقه في الإلغاء أو الإبقاء، حول مايدور في تعاليم دعوته التي جاء بها، فما كان موافقا لها من حيث العقيدة الصحيحة أبقاه وأيده، وماكان مخالفا لها ألغاه وحاربه.

لقد أباح رسول الله (ص) اتخاذ العيد، وأقر أصل الفكرة، ليحصل مافيه من مزايا، وألغى يومي الجاهلية (يوم النيروز، ويوم المهرجان اللذين كان العرب يلعبون فيهما في الجاهلية) مخافة أن يستقر في النفوس تقديسها، أو الإبقاء على شعائرها، وعين يومين مكانهما هما عيدان مجيدان أهداهما رسول الله (ص) إلى الأمة الإسلامية.

ولكل من هذين اليومين منزلة خاصة بزمنه الذي حل فيه، وأخذ إسما يناسبه، فلوقوع يوم الأضحى بعد وقوف عرفات وقد نزلت فيه آخر آية في القرآن الكريم، تلك الآية التي قررت إكمال الدين الإسلامي، واتمام النعمة على الناس، ورضاء الله عز وجل بالإسلام دينا، سمي هذا اليوم يوم الإكمال والإتمام الذي كمل وتم فيه بناء الدين.

ويشير يوم الإكمال إلى مبدأ البناء، بناء دولة الإسلام، دولة الصفاء الروحي، والاستقامة القلبية، دولة الحق والقانون، دولة الهدى والرشاد، هذا البناء الذي وضع أساسه في شهر رمضان، حيث ابتدأ نزول آيات الوحي الأولى، وأخذ دوره وطريقه في إتمامه ثلاثا وعشرين سنة، في مكة والمدينة، وسمي هذا اليوم بيوم الفطر أو البناء والشكر.

وليس في واقع الأمر لدى العالم الإسلامي، أعز ولا أعظم من يومه الأول، يوم البدء والبناء، ولا من يومه الثاني، يوم الإكمال والإتمام.

وليوم الفطر اعتبار آخر أضفى عليه إسما يفرح به المومنون الذين صاموا رمضان صوما نقيا طاهرا،حسبما يقتضيه صوم المتقين، الذين راقبوا المولى تبارك وتعالى في صومهم، فصامت جوارحهم، وارتقت بصومهم انسانيتهم وتنافسوا في تقربهم إلى خالقهم، لإعدادهم لأن يكونوا أصحاب بر وخير، فتخرجوا في مدرسة الثلاثين يوما، وسعدوا بمكافأة الله على ماصاموا وقاموا، بقول الرسول (ص) "إذا كان يوم الفطر وقفت الملائكة على أبواب الطرق فنادت: اغدوا يامعشر المسلمين إلى رب كريم يمن بالخير، ثم يثيب عليه"وقد أخرج البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه ينادي الحق تبارك وتعالى ملائكته: ماجزاء الأجير إذا عمل عمله؟ فيقولون: إلهنا وسيدنا، جزاؤه أن يوفي أجره، فيقول سبحانه وتعالى: أشهدكم أني جعلت ثوابهم لصيامهم وقيامهم رضائي ومغفرتي، فإذا انتهوا من صلاتهم قالت لهم الملائكة اقبضوا جوائزكم فهذا يوم الجائزة"فسمي يوم فطرهم بيوم الجائزة السماوية أو الهبة الربانية، وبهذا يحمل يوم الفطر السمين، ففي الأرض يسمى "عيدا" وفي السماءيسمى "يوم الجائزة".

وإذا كان مظهر الترفيه عن النفوس هو الذي يعنيه الناس في العيد، فإن للعيد وراء ذلك مغزيين، لايخرج عن نطاقهما، ولايهدف إلا إليهما، مغزى إنسانيا ومغزى اجتماعيا، ولكل من المغزيين أثره وخطره.

فأما مغزاه الإنساني فهو أنه يشرك أفراد الأمة الإسلامية على اختلاف ديارهم وتباين أجناسهم وألوانهم، في سرورهم وابتهاجهم، وتقوى بالعيد بينهم الروابط الروحية التي يوطد الإسلام أواصرها بين أبنائه من مختلف الأقوام واللهجات. ففي هذا العيد تبرز فكرة التوحيد الإسلامي في الشعور، والزمان ، والصورة، وفي كل شيء فالعيد فرحة لكل المسلمين بلقائهم، وفرحة لتجمعهم على معنى الوحدة، فقد صاموا في وقت واحد، وأفطروا في وقت واحد، وهاهم يفرحون بالعيد في مظهر واحد، وزمان واحد، وشعور واحد، الفرحة فيها لاتنفصل عن القبلة، ولاتنبت صلتها بالمحراب، إنها كلها ممزوجة بعبير الإسلام ورحيقه، كما يقرن الإسلام بالعيد بفرحته النظام الاجتماعي والتكافل الاجتماعي معا.

وهذا المغزى هو أسمى مايمكن أن يراعى عندما نستقبل العيد، فإن من أوجب الواجبات على الإنسان القادر الرحيم في الإسلام أن يفكر ليلة العيد، أو قبل حلولها، فيما يحتاجه العاجز والضعيف، ومايحتاجه أولاده، يقول الواقدي (أحد العلماء البارزين في القرن الثاني للهجرة) في هذا الواجب الإنساني "كان لي صديقان أحدهما هاشمي، وكنا كنفس واحدة، فنالتني ضائقة شديدة وحضر العيد، فقالت لي امراتي، أما نحن في أنفسنا، فنصبر على البأس والشدة، وأما صبياننا هؤلاء، فماذا نصنع لهم وثيابهم مهملة؟ فكتبت إلي صديقي الهاشمي أسأله المعونة والتوسعة، فوجه إلي كيسا مختوما فيه ألف درهم، فما استقر في يدي حتى كتب إلى الصديق الآخر يشكو مثل ماشكوت إلى صديقي الهاشمي؛ فوجهت إليه الكيس بختمه، ثم أخبرت امراتي بما كان مني، فأقرته راضية شاكرة، ولم ألبث قليلا حتى وافاني صديقي الهاشمي، ومعه الكيس كهيئته، ثم قال لي، ماذا فعلت بالكيس الذي وجهته إليك، اصدقني ولا تكتم علي، فأخبرته الخبر، فقال لي الهاشمي إنك حين طلبت مني ماأعونك به من مال، لم أكن أملك إلا مابعثت به إليك، ثم أرسلت إلى صديقنا الثالث أسأله المواساة، فوجه إلي الكيس الذي بعثت به إليك .

قال الواقدي، فتقاسمنا الألف درهم فيما بيننا، وأخذ كل من ثلاثتنا ثلاثمائة درهم وأعطينا المرأة مائة درهم، وتسرب الخبر إلى المامون، فدعاني واستفسرني، فقصصت عليه الخبر، فأمر لنا بسبعة آلاف دينار، لكل واحد منا ألفان، وأخذت المرأة ألف دينار"

إن هذه القصة تحتوي على التعبير الصادق عن التعاون الإنساني الذي رسمت طريقه لهؤلاء الأصدقاء الثلاثة الرحمة والتعاطف.

وأما معنى العيد الاجتماعي، فهو تذكير أبناء المجتمع بحق العاجزين، والمحتاجين، والضعفاء عليهم، حتى تشمل فرحة العيد كل بيت، وتعم النعمة كل أسرة.

إن الإسلام يقرن العيد بفرحة النظام الاجتماعي والتكافل الاجتماعي معا، فكما أن المسلم يوفر لأسرته وأولاده في العيد فرحة وزينة فعليه أن يوفر للفقراء فرحة وزينة أيضا فالإسلام يمنع أن تذرف دمعة البؤس في عيد المسلمين لأن ذلك مما يؤرق فرحة العيد.

وإلى هذا المغزى الاجتماعي العظيم يرمز تشريع صدقة الفطر في عيد الفطر، ويؤكد هذا المغزى الاجتماعي قول الرسول (ص) "أغنوهم عن السؤال في هذا اليوم" وإغناء العاجزين والضعفاء في هذا اليوم، يكون بإطلاق الأيدي الخيرة، في مجال الخير، فلا تشرق شمس العيد إلا والبسمة تعلو شفاه أبناء المجتمع،والبهجة تغمر قلوبهم.

اننا نحن المسلمين في أشد الحاجة إلى أن نتفهم أن العيد إنما هو المعنى الذي يكون في يوم العيد، لا اليوم نفسه، وأن نفهم أن العيد في الإسلام هو عيد الفكرة العابدة، لاعيد الفكرة العابثة، وإن العيد هو إثبات الأمة وجودها الروحاني في أجمل معانيه، لا إثبات وجودها الحيواني في أكثر معانيه، وان العيد هو يوم المبدأ، لا يوم المادة، وأن العيد هو فرحة المسلم بتوفيق الله في أداء ماافترضه عليه.